

المؤرخ المصري

دراسات ومختصر في التاريخ والحضارة



مجموعات

- أولاً : البحوث والدراسات :
- دور الثقافة العربية في البحر الأبيض المتوسط « صقلية والأندلس خلال العصور الذهبية للإسلام في الغرب » .
أ. د. جمال عبد الكريم
 - دراسة تحليلية لعوامل قيام وأقول الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين .
د. حورية عبده عبد المجيد سلام
 - الثقافة الإسلامية - تطورها وازدهارها في أفريقيا الشرقية في العصور الوسطى .
د. سر اجتم سيد أحمد العراقي
 - اللون ونشأة التراث الفني الإسلامي .
د. عصام عرفه محمود
 - النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود في أوائل القرن السابع الهجري/الثالث عشر للميلاد (٦٠١-٦٢٢هـ/١٢٠٥-١٢٢٥م) .
د. علي بن محمد عوده الغامدي
 - المرحلة الأولى من مراحل استرداد السودان « معركة دنقلة » .
د. عمر سالم عمر بابكور
 - الإدارة المالية في مصر في عصر البطالمة .
د. محمد فهمي عبد الباقي
 - الوزير جمال الدين الأصبهاني الموصلى (دوره السياسي وأعمال البر والعمران في الحرمين الشريفين) .
د. مسفر بن سالم الغامدي
- ثانياً : دليل الرسائل الجامعية وكشاف البحوث والمراجعات وعرض الكتب المنشورة في المؤرخ المصري .

يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد التاسع عشر يناير 1448

النفوذ السلجوقي فى حوض البحر الأسود

فى أوائل القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى

(٦٠١ - ٦٢٢ هـ / ١٢٠٥ - ١٢٢٥ م)

ط / علاء بن محمد عوطة الغامط

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

قبل الحديث عن النفوذ السلجوقي فى حوض البحر الأسود أوائل القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، الذى يعد بحق ذروة نفوذ دولة سلاجقة الروم فى هذا البحر ، والذى ظل خارج دائرة النفوذ الإسلامى إبان العصور السابقة لقيام دولة سلاجقة الروم ، يجدر أن نشير باختصار إلى أهم المحاولات التى قام بها الأتراك السلاجقة للاستقرار على السواحل الجنوبية للبحر الأسود خلال النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، والقرن السادس الهجرى / النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، والثانى عشر الميلاديين ، وموقف الدولة البيزنطية من تلك المحاولات ، لأن ذلك مهّد الطريق لسلاجقة الروم لبسط نفوذهم على السواحل الجنوبية للبحر الأسود فى أوائل القرن السابع ومن ثمة فتح ميناء سغداق (سوداق) الواقع فى شبه جزيرة القرم على السواحل الشمالية لذلك البحر .

إذا كان الأتراك السلاجقة وقبائل التركمان قد توغلوا فى غاراتهم وفتحهم فى أعماق الأناضول بعد معركة ملاذكرد (مانزيكرت)

٤٦٣هـ / ١٠٧١ م ووصلوا غربًا إلى مدينة نيقية وفتحوها سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م (١) ، فإنهم لم يهملوا المناطق الشمالية للأناضول . فطوال عهد الإمبراطور البيزنطى ميخائيل Michael السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨ م) شن الأتراك غاراتهم على المناطق الساحلية للبحر الأسود وامتدت تلك الغارات من هرقله Herraclieia البنطية حتى طرابيزون بما فيها مصب نهر الهاليس (قزل ارمق) وبدأ الأتراك فى الاستقرار فى المناطق الساحلية بأعداد كبيرة نسبيًا خلال عهد الإمبراطور نقفور الثالث بوتانياتس Nicphorus Botaniates (١٠٧٨ - ١٠٨١ م) وأصبحت معظم المناطق الساحلية فى أيديهم (٢) .

وفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م قام الأمير التركى خارتكين وتوغل شمالاً وفتح جاجنجرى وقصطمونية ، وهما من المناطق الخلفية الواقعة جنوب ساحل البحر الأسود ، ولما علم أن مبلغًا كبيرًا من الذهب يعود للخزانة الإمبراطورية قد أودع فى سينوب الواقعة على الساحل تقدم إليها وانتزعها من البيزنطيين (٣) . ومن جانبه تمكن كمشتكين بن دانشمند من الاستيلاء على مدينة نكسار القريبة من ساحل البحر حيث تقع إلى الجنوب الغربى من طرابيزون ، ومن ثمة بدأ يتطلع إلى السيطرة على طرابيزون (٤) . حيث يفهم مما كتبه حنه كومنين أن طرابيزون قد وقعت فى وقت سابق بأيدي الأتراك ثم أستردت منهم قبل أن يطرد والدها الإمبراطور الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨١ - ١١١٨ م) ثيودور غابراس Theodore Gabras من القسطنطينية حيث ذهب الأخير إلى طرابيزون واستقل بها وأقام بها دوقية استمرت قائمة بعد وفاته ولم يجد خلفاؤه غضاضة فى التحالف مع الترك ضد القسطنطينية (٥) . كما قام الأمير التركى منجوجك غازى - الذى أسس الإمارة المنجوجكية فى أرزنجان - بشن الغارات على سواحل البحر الأسود بالتعاون مع الدانشمنديين (٦) .

ولم يستقر الوضع - على سواحل البحر الأسود - على وتيرة واحدة بين الأتراك والبيزنطيين حتى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى حيث كان ينجح الأتراك أحياناً فى إحراز مكاسب عديدة على حساب البيزنطيين ، ولكن سرعان ما يعاود البيزنطيون الهجوم المضاد ويسترجعون المناطق التى فقدوها(٧) .

أما فى القرن السادس الهجرى ، فبعد مقتل السلطان قلع أرسلان الأول سنة ١١٠٧م / ٥٠٠هـ ، وما ترتب على وفاته من نتائج سيئة على أحوال السلاجقة وأتراك الأناضول ، فقد مال ميزان القوى - مؤقتاً - لصالح البيزنطيين الذين اتخذوا زمام المبادرة وشرعوا فى مهاجمة الأتراك على جميع سواحل الأناضول ، بما فيها السواحل الشمالية المطلّة على البحر الأسود ، وتمكن البيزنطيون من طرد الأتراك من تلك السواحل(٨) . غير أن ذلك الانتصار الذى أحرزه البيزنطيون افتقر إلى الديمومة والثبات . إذ سرعان ما نهض الأتراك الدانشمنديون بقيادة غازى بن كمشكين بن دانشمندالذى تمكن سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م من استمالة أحد القادة البيزنطيين ويدعى كاسيانوس Kasianus ، وكان يتولى بعض المناطق المطلّة على البحر الأسود ، وسلم لغازى عدداً من الحصون المهمة على الساحل مقابل إقطاعه بعض الممتلكات داخل بلاد الدانشمنديين ، الأمر الذى أثار حفيظة الامبراطور يوحنا كومنين Johen Comnenus (١١١٨-١١٤٣م) فقرر استرداد تلك الحصون ، وقاد بنفسه حملة عسكرية لتحقيق ذلك الغرض وسار عبر سواحل البحر الأسود ، وشرع فى التأهب للانقضاض على أملاك الدانشمنديين غير أن انشقاق أخيه الأصغر السياسستوكر اتور اسحاق The Sebastocrator وتمرده ضده وانضمامه إلى ابن دانشمند حال بين الامبراطور وبين تحقيق هدفه فعاد أدراجه إلى القسطنطينية(٩) .

ولم يستسلم الامبراطور حنا كومنين لذلك الفشل بسبب تمرد أخيه ، فقاد حملة أخرى سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م وسار بحذاء ساحل البحر الأسود ثم تقدم جنوبًا صوب قسطنطينية التي اتخذ منها غازي بن دانشمند قاعدة للإغارة على المناطق الساحلية وحاصرها فاستسلمت له كما انتزع حصنين آخرين عنوة وأخذ معه أسرى كثيرين وعاد بهم إلى القسطنطينية^(١٠) غير أن الأمير غازي بن دانشمند سرعان ما استغل عودة الامبراطور إلى عاصمته فهاجم قسطنطينية واقتحمها عنوة وقتل حاميتها البيزنطية^(١١). ولكن الامبراطور يوحنا كومنين انتهز فرصة وفاة غازي بن دانشمند سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م والنزاع الذي اندلع بين أبنائه ، فقاد حملة أخرى لاسترداد قسطنطينية وفرض عليها حصارًا طويلًا حتى انتزعها سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٦م^(١٢) . والمتأمل في قصة ذلك الصراع حول قسطنطينية يلحظ أنها أصبحت كالكرة يتقاذفها الجانبان البيزنطي والتركي ، مرة يستولى عليها البيزنطيون ، وكرة ينتزعها الأتراك . ومرد هذا الصراع على قسطنطينية أنها تقع إلى الجنوب الغربي من أشهر الموانئ البيزنطية على سواحل البحر الأسود وهو ميناء سينوب ، حيث تشكل بالنسبة للبيزنطيين خط الدفاع الخلفي الذي يحمي سينوب من الوقوع في قبضة الأتراك ، في حين تشكل للأتراك القاعدة المتقدمة التي يمكن الانتفاض منها على أروع الموانئ التجارية على ساحل البحر الأسود الجنوبي وهو ميناء سينوب .

ويذكر ابن العبري غارة قام بها الملك محمد دانشمندی أمير ملطية إلى بعض سواحل البحر الأسود وذلك سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م وأنه " سار إلى قاسينوس وهي على ساحل بحر بنطس - البحر الأسود - فغزاها وأجلى أهلها جميعًا وباعهم عبيدًا "^(١٣) . بيد أنه لم يرد في المصادر تحديد المقصود

بتلك البقعة التي سماها ابن العبري قاسينوس ولعله يقصد بذلك الحصون التي تنازل عنها القائد البيزنطي كاسيانوس - المشار إليه آنفاً - لغازي بن دانشمند مقابل بعض الاقطاعات داخل ممتلكات الدانشمنديين . وعندئذ قرر الامبراطور يوحنا كومنين قيادة حملة جديدة عبر سواحل البحر الأسود لاختضاع دوق طرابيزون قسطنطين غابراس ، الذي طالما تمرد على السيطرة الامبراطورية وتحالف مع الدانشمنديين ، ومن ثمة الزحف جنوباً نحو العاصمة الدانشمندية نكسار والاستلاء عليها . وتحرك الامبراطور سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م ونجح في اخضاع دوق طرابيزون ، واتجه إلى نكسار فحاصرها ، وجرت معارك طويلة وعنيفة بين البيزنطيين والأتراك ، وكادت نكسار تسقط بيد البيزنطيين ، إلا أنه حدثت ظروف مشابهة لتلك التي حدثت إبان حملة الامبراطور السابقة سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م فقد انشق عن الامبراطور هذه المرة ابن أخيه حنا اسحاق وهرب إلى الدانشمنديين وتسبب - مثلما حدث من أبيه قبل عشر سنوات - في فشل هذه الحملة بعد أن أدى ذلك إلى حدوث اضطراب في الجيش البيزنطي ففقد الامبراطور عائدًا إلى القسطنطينية مكتفياً بإعادة السيطرة البيزنطية على سواحل البحر الأسود وبقيت قوة الأتراك في داخل الأناضول على حالها(١٤) .

وفي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م قام أمير سيواس غازي بازان وزحف إلى سواحل البحر الأسود وفتح بافرا Bafra ويوني Unye فرد الامبراطور مانويل كومنين Manuel (١١٤٣ - ١١٨٠م) بإرسال حملة بقيادة الكسيوس جيفار دوس Alexius Giphardos ، وتمكنت الحملة من استرداد بافرا ويوني ، وعادت بذلك السيطرة البيزنطية على سواحل البحر الأسود الجنوبية(١٥) .

وصفوة القول :إننا إذا دققنا النظر في قصة ذلك التنافس بين الأتراك والبيزنطيين على الهيمنة على سواحل البحر الأسود إبان النصف الثاني من

القرن الخامس الهجرى ، ومعظم القرن السادس الهجرى حتى سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م نجد البيزنطيين قد نجحوا فى الاحتفاظ بسيطرتهم على الموانئ المهمة على ذلك البحر رغم فقداتهم المؤقت لبعضها . وهكذا لم يتمكن الأتراك من الحصول على منفذ دائم على ذلك البحر . وفى سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م حقق قلعج أرسلان الثانى نصراً ساحقاً على البيزنطيين فى معركة ميريوكيفالون (١٦) . ولم يعد بمقدور الدولة البيزنطية بعد ذلك القيام بهجمات مضادة ضد الأتراك مثلما كانت تفعل فى السابق ودخلت فى طور الاتحطاط والتدهور (١٧) .

ومن الواضح أن سلاجقة الروم أدركوا منذ ذلك الحين أهمية بلادهم كمركز لتجارة العبور بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فبدأوا العمل للحصول على منافذ بحرية على سواحل البحر الأسود فى الشمال والبحر المتوسط فى الجنوب .

على الرغم من قيام قلعج أرسلان الثانى بتقسيم مملكته بين أبنائه الأحد عشر طبقاً للتقاليد والأعراف التركية القديمة ، وما نجم عن ذلك التقسيم من منازعات بين أولئك الأبناء (١٨) ، فإن المنازعات لم تمنع أولئك الأبناء من القيام بفتوحات جديدة سيما على سواحل البحر الأسود ، حيث تمكنوا من فتح ميناء سامسون Samsun الواقع إلى الشرق من ميناء سينوب وأدخلوا بعض المناطق المجاورة على الساحل تحت إدارتهم . فقد أشار المؤرخ البيزنطى خونياتس Choniates إلى أن هذه المناطق تتبع ركن الدين سليمان بن قلعج أرسلان (٥٩٢-٦٠٠هـ/١١٩٥-١٢٠٣م) فى معرض حديثه عن الهجمات التى قام بها الامبراطور البيزنطى على ميناء سامسون بغية استردادها من ركن الدين (١٩) ، دون أن يشير ذلك المؤرخ إلى كيفية فتح السلاجقة لهذا

الميناء . ويرجح كاهن أن فتح سامسون حدث سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م (٢٠) ، وهذا يعنى أنها فتحت خلال حكم غياث الدين كيخسرو للفترة الأولى (٥٨٨ - ٥٩٢هـ / ١١٩٢ - ١١٩٥ م) .

وقد انتهز الامبرطور البيزنطى الكسيوس الثالث Alexius (١١٩٥ - ١٢٠٣م) فرصة انشغال السلطان ركن الدين سليمان بالمنازعات الداخلية فأرسل أسطولاً إلى البحر الأسود مكوناً من ست قطع بحرية بقيادة أمير البحر قنسطنطين فرنكو بولوس Konstantin Frankopulos بهدف ظاهري هو انتقاذ حمولة إحدى السفن التى غرقت فى غيرسون Giresun بينما كان الهدف المبيت هو الانتفاض على ميناء سامسون ونهب السفن الراسية فيها . ونجحت الخطة فهاجمت المراكب البيزنطية سفناً كانت على وشك الرسو فى ميناء سامسون ، وكانت تحمل سلعاً فى طريقها إلى القسطنطينية نفسها ، وهو مايشير إلى ازدها الحركة التجارية فى ميناء سامسون فنهب البيزنطيون شحنات تلك السفن ، وأسروا بعض أصحابها ، وقذفوا البعض الآخر فى البحر ، فشكا التجار الذين بقوا على قيد الحياة إلى الامبراطور الكسيوس الثالث نفسه ، ولكنهم لم يجدوا أذناً صاغية فرفعوا شكواهم إلى السلطان ركن الدين سليمان الذى أرسل رسالة إلى الامبرطور البيزنطى يحمله مسؤولية ما حدث ويطلبه برد البضائع واطلاق الأسرى ، وطلب من الامبراطور عقد اتفاقية جديدة بينهما . وقد أدرك الامبرطور خطورة الموقف ، وأن فى مقدور السلاجقة الرد باعتمادات أشد وأعنف ، فقرر عدم الدخول فى مشكلات جديدة معهم ، وألقى بمسؤولية ما حدث على عاتق قائد الاسطول فرنكو لوس ، وجرى توقيع اتفاقية بين الجانبين ، تعهد فيها الامبرطور بدفع جزية سنوية للسلاجقة ، وتعويض التجار الذين نهبت أموالهم وذلك بدفع مبلغ خمسة آلاف

جواهر فضى وخمسين مينة Mnae (رطل) من الفضة ، كما بعث الامبراطور إلى ركن الدين باريعين حلة من الحرير المصنوعة للاستخدام الامبراطورى الخاص (٢١) .

وإذا كان فتح سامسون قد منح سلاجقة الروم منفذاً ضرورياً على ساحل البحر الأسود ، فإن تلك السيطرة على سامسون لم تستمر سوى عشر سنوات ، إذ لم يلبث السلاجقة إبان فترة حكم الطفل قلعج أرسلان الثالث ابن سليمان (٦٠٠-٦٠١هـ/١٢٠٤-١٢٠٥م) أن فقدوا ذلك الميناء المهم سنة ٦٠٠هـ - ١٢٠٤م ، ففى تلك السنة - كما هو معروف - استولت الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية وما ترتب على ذلك من نتائج خطيرة . ومن أهم تلك النتائج المتعلقة بسواحل البحر الأسود المجاورة لسلطنة سلاجقة الروم أن بلدوين الأول (٦٠٠-٦٠١هـ/١٢٠٤-١٢٠٥م) الامبرطوا اللاتينى فى القسطنطينية حاز شريطاً من الأرض الساحلية فى آسيا الصغرى أمتد من ساحل بحر مرمره حتى هرقلية البنطية على سواحل البحر الأسود ، لكنه لم يلبث أن فقد الشريط بعد هزيمته الساحقة أمام قيصر البلغار فى شعبان ٦٠١هـ/ابريل ١٢٠٥م (٢٢) . وبذلك زال خطر المواجهة المباشرة بين دولة سلاجقة الروم والامبرطورية اللاتينية على سواحل البحر الأسود .

وقامت فى طرابيزون امبراطورية قام بتأسيسها الكسيوس الأول كومنينوس الكبير Alexius I Comnenus - الذى تسميه المصادر الإسلامية كيرالكس - (٢٣) وأخوه داود وهما ابنا مانويل كومنينوس ابن الامبراطور اندرونيكوس الأول Andronicus I (١١٨٣-١١٨٥م) وكان والدهما مانويل ابن عم لثمار Thamar ملكة الكرج . وقد ساعدتهما عمتهما ثمار على الانفراد بحكم طرابيزون على الساحل الجنوبي للبحر الأسود . وقد استرد الكسيوس

الكبير ميناء سامسون من السلاجقة سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م عن طريق أحد أتباعه ويدعى ثيودور جابراس Theodor Gabras، وبفضل مساعدة ثمار قام الأخوان الكسيوس وداود بحملة توسع نحو الغرب، واستطاع داود أن يمد ممتلكاته غرباً من سينوب إلى منطقة بافلاجونيا بما فيها هرقلة البنطية، في حين سيطر أخوه الكسيوس على كل المنطقة الساحلية الواقعة بين سينوب وطرابيزون ومد نفوذه شرقاً حتى القوقاز (٢٤).

وهكذا فقد السلاجقة خلال فترة حكم الطفل قلعج أرسلان الثالث بن سليمان الاتصال بسواحل البحر الأسود لحساب امبرطورية طرابيزون. ولم يقتصر نفوذ داود كومنين على ذلك بل شرع في التوسع غرباً حتى وصل قرب منطقة نيقوميديا المقابلة للقسطنطينية في غرب آسيا الصغرى، وكان هدفه توطيد مركز الكسيوس لتدعيم ادعاءاته باعتباره الامبراطور الشرعي للبيزنطيين بعد سقوط القسطنطينية بأيدي اللاتين. وهذا التوسع لداود أوقعه في صراع مع لاسكاريس الأول امبراطور نيقية حيث تصدى هذا الأخير لقوات داود وأعادها إلى الوراء، وسيطر لاسكاريس على بعض سواحل البحر الأسود المتدة فيما بين نيقوميديا وهرقلة البنطية (٢٥).

وحين تمكن السلطان كيخسرو بن قلعج أرسلان (٦٠١-٦٠٧هـ/ ١٢٠٥-١٢١١م) من الوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية مرة ثانية سنة ٦٠١هـ/١٢٠٥م (٢٦) أدرك مدى الضرر الذي أحدثته سيطرة امبرطورية طرابيزون على السواحل الجنوبية للبحر، الأسود بحيث أصبحت دولة السلاجقة دولة داخلية لتظل على البحر فحاول فتح طرابيزون نفسها سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م لكنه أخفق في ذلك وظلت الطرق مقطوعة بين دولة السلاجقة ومياه البحر الأسود الأمر الذي عاد بأفدح الضرر على الحركة

التجارية عبر تلك البلاد . وقد ذكر ابن الأثير ذلك فقال " : وفيها تجهز غياث الدين خسرو شاه - كيخسرو - صاحب بلاد الروم إلى مدينة طرابزون ، وحصر صاحبها لأنه كان قد خرج عن طاعته فضيق عليه برأ وبحراً ، ولم يخرج منهم أحد إلى بلاد غياث الدين ، فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس ، لأنهم كانوا يتجرون معهم ، ويدخلون بلادهم ، ويقصدهم التجار من الشام والعراق ، والموصل ، والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير ، فحيث لم يفتح الطريق تأذوا أذىً كثيراً فكان السعيد من عاد إلى رأس المال " (٢٧) .

ويمكن أن نخرج من هذا النص بعدد من الحقائق هي :

(أ) أصبحت دولة سلاجقة الروم مركزاً مهماً لتجارة العبور الدولية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب . وأصبحت مدينة سيواس سوقاً دولياً يجتمع فيه التجار من أماكن وبلاد مختلفة وفيه يجرى تبادل السلع .

(ب) كانت دولة سلاجقة الروم حتى ذلك الحين (٦٠٢هـ/١٢٠٦م) تعتمد على ميناء طرابزون في المتاجرة مع الأمم الشمالية مثل الروس والقفجاق والكرج ومع الأمم الواقعة غربي البحر الأسود مثل اليونان واللاتين وغيرهم ، ولم يكن لدولة سلاجقة الروم ميناء على ساحل ذلك البحر - بعد خسارة سامسون - ولا شك أن امبراطورية طرابزون كانت تجنى الكثير من الأرباح جراء الرسوم التي كانت تأخذها من تجار السلاجقة والشام والعراق والجزيرة وغيرهم .

(ج) أن في مقدور امبراطورية طرابزون فرض حصار اقتصادي قوى على دولة سلاجقة الروم إذا ما ساءت العلاقات بين الجانبين . الأمر الذي أدرك خطورته سلاطين السلاجقة ، فبدأوا في تخطيط سياستهم الحربية وفقاً

لمصالحهم التجارية ، فعملوا - كما سنرى بعد قليل - على فتح منافذ بحرية ذات مواقع خاصة بهم على سواحل البحر المتوسط فى الجنوب وعلى سواحل البحر الأسود فى الشمال .

(د) كانت طراييزون تحتاج بدورها للتجارة مع سلاجقة الروم لأن ذلك من مقومات حياتها الاقتصادية ، وليس بمقدور طراييزون مواجهة السلاجقة فى ميادين القتال البرى الذى يتفوق فيه الأتراك ، ولذلك كانت طراييزون لا تمنع أحياناً فى الاعتراف بسيادة دولة السلاجقة وهو ما يفهم من عبارة ابن الأثير " كان قد خرج عن طاعته " ، أو بعبارة أخرى كانت المصالح متبادلة بين الجانبين رغم تدهور العلاقات بينهما سنة ٦٠٢هـ / ١٤٠٦م . وإذا دققنا النظر لفحص الأسباب التى حدثت بسلاطين سلاجقة الروم للعمل بجد على إيجاد منافذ بحرية لدولتهم - بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفاً - نجدها تتركز فيما يلى :

أولاً : إن تربع السلطان غياث الدين كيخسرو الأول على عرش سلاجقة الروم (٦٠١-٦٠٧هـ / ١٢٠٥-١٢١١م) يمكن اعتباره بداية العصر الذهبى لدولة سلاجقة الروم (٢٨) ، إذ أصبحت هذه الدولة فى أوائل القرن السابع الهجرى / أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، دولة قوية مستقرة منظمة ، الأمر الذى أدخل عنصراً جديداً فى تجارة الشرق الأدنى ، فبدأت تنمية الثروات المنجمية فى أرجاء الدولة كالحديد والنحاس والفضة ، وحجر الشب ، والتى كانت تتناقص فى الدول المجاورة ، بالإضافة إلى الإنتاج الكبير من الملح والزعفران والصدف والأخشاب ، بحيث أصبح فى مقدور هذه المنتجات تغذية تجارة مهمة ، مع تجارة العبور المارة عبر السلطنة . كما أخذت حياة البلاط وكبار رجال الدولة وحاشيتهم تتطور فضلاً عن الطبقة المثقفة بحيث أصبح هناك سبب لاستيراد المنتجات البعيدة الغالية الثمن (٢٩) .

ثانيًا : تضافرت عوامل عديدة لتزيد من أهمية دولة سلاجقة الروم فى تجارة العبور ، فمن المؤكد أن اجتياح الكومان Coumans - وهم من العناصر التركية الوثنية - للسهوب الجنوبية لأراضى روسيا ، زاد من أهمية الخطوط البحرية القديمة بين البحر الأسود ونهر الفولغا مع بلاد البلطيق ، وجرى تبادل تجارى على نطاق واسع بين بلاد البلطيق والشواطئ الشمالية للبحر الأسود حيث استوردت تلك الشواطئ الفراء بكميات كبيرة من بلاد البلطيق ، وصدرت اليها السمك المجفف ، ووجد الفراء طريقه إلى بلاد سلاجقة الروم ومنها إلى سائر البلاد الإسلامية الجنوبية ، إضافة إلى أن سيطرة الكومان على تلك السهوب الواسعة من حدود بيزنطة غربًا إلى إقليم خوارزم شرقًا جعلهم المصدرين الكبار للممالك حيث تجند معظم الجيوش منهم . كما أن قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام مكنها من التوسع فى شراء الممالك بفضل الموارد المصرية الكبيرة ، فأصبحت سلطنة سلاجقة الروم هى نقطة الوصل بين بلاد الشام ومصر وبين البلاد المصدرة للرقيق شمالى البحر الأسود . ومما زاد أهمية سلطنة سلاجقة الروم فى هذه التجارة أن البلاد المحيطة بها كانت محفوفة بالمخاطر بحيث لا يمكن للدولة الأيوبية الركون اليها فى استيراد الرقيق ، فالطريق البحرى عبر القسطنطينية أضحى خطرًا بعد سيطرة الصليبيين على القسطنطينية سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م) وهم العدو الأول للدولة الأيوبية . كما أن الطريق البرى عبر القوقاز تجتاز بلدانًا ممزقة بسبب الحروب لذلك أصبح أفضل طريق تجارى هو الذى يربط مصر بحرًا بميناء انطالية فى جنوب آسيا الصغرى ثم عبر البر إلى موانئ البحر الأسود الجنوبية ومنها إلى شمالى ذلك البحر (٣٠) إضافة إلى أن مصر كانت تعاني تقليديًا من حاجتها إلى الخشب والحديد ، وكانت الأناضول - التى تقوم عليها سلطنة السلاجقة - هى أقرب نقطة يمكن أن تزودها بها (٣١) . ولذلك

كله أدرك السلطان كيخسرو الحاجة للوصول إلى بلاد القرم وشمالى البحر الأسود دون الاضطرار للمرور بالأراضى الخاضعة للقوى النصرانية . وكانت الخطوة الأولى التى اتخذها كيخسرو هى اكتساب الميناء الجنوبى للأناضول وهو ميناء انطالية .

قرر السلطان كيخسرو فتح ميناء أنطالية سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧م فزحف إليها مستغلاً شكاوى الأقلية المسلمة فيها ، والذين اشتكوا من سوء معاملة الفرنج لهم ، حيث قام حاكم المدينة الدوابراندينى Aldobrandini بمصادرة مملكتات وبضائع عدد من التجار الاسكندرانيين الذين كانوا يتاجرون حينذاك مع العاصمة السلجوقية قونية . وعندما جاء السلطان كيخسرو لفتح المدينة وحاصرها تدخلت المملكة اللاتينية فى قبرص ، التى كانت تحت حكم آل لوزجنان Lusignans ، وكانت تلك المملكة تتطلع إلى احتلال ذلك الموقع التجارى المهم ، الذى لايبعد إلا بمسافة ابحار يوم واحد من الميناء القبرصى الشمالى سيرينا Cyrenia ، وأقنع سكان انطالية القلقون على مصيرهم الدوابراندينى بأن يستجد بالوصى على عرش قبرص لكى يساعدهم على صد الهجوم السلجوقى . وكان ملك قبرص هيوالأول ما يزال قاصراً فى الثانية عشرة من عمره ، وكانت المملكة القبرصية تدار بشكل مؤقت من قبل الوصى عليه ، زوج أخته ، والتردى مونتبليارد Walter de Montbeliard الذى قرر مساعدة الأنطاليين وأبحر فى جمادى الأولى ٦٠٣هـ/يناير ١٢٠٧م من سيرينا باسطول يحمل قوة بحرية مع ٢٠٠ مقاتل من المنشأة ، فى وقت كان الهجوم السلجوقى قد بدأ على انطالية ، حيث أحاط بها الجيش السلجوقى وفرض عليها حصاراً طويلاً بقيادة السلطان نفسه ، وقامت الفرقة الفرنجية على شكل كتيبة متراسة بالإندفاع على المحاصرين الذين أخذوا

على حين غرة وبدأوا فى الانسحاب . وتخلّى السلطان كيخسرو عن الحصار وعسكر بعيدًا عن المدينة لمدة أحد عشر يومًا ، ونفذ خطة أخرى انصبّت على تدمير المحصولات والحقول التابعة لانتطالية ، ومنع المؤن من الوصول إليها . وعانى محيط انتطالية من تدمير سئ على أيدي الأتراك ، الأمر الذى أفضى إلى سخط متزايد بين النبلاء الفرنج واليونانيين من أهل انتطالية الذين جاءت ثروتهم بشكل رئيسى من الأراضى الخصبة التى يمتلكونها خارج المدينة . وسرعان ما أدركوا أن القوات البحرية التى قادها مونتيليارد لم تحقق شيئًا محسوسًا لأنقاذهم ، وأن عليهم أن يستسلموا للسلطان لكى يتجنبوا الإبادة الشاملة فى حال سقوط المدينة عنوة . وفى تلك الأثناء وقع الشقاق داخل المدينة بين الفرنج واليونانيين بشأن الطريقة التى ينبغى الاستسلام بموجبها للسلطان ، وتفاقم الخلاف ، وأدى إلى القتال بين الجانبين ، الأمر الذى أقنع مونتيليارد بالانسحاب والعودة باسطوله إلى قبرص ، فاستدعى اليونانيون السلطان الذى جاء بجيشه وحاصر المدينة مرة ثانية حتى افتتحها فى شعبان ٦٠٣هـ / مارس ١٢٠٧م (٣٢).

وجاء فتح انتطالية وما ترتب عليه من نتائج تجارية مهمة بالنسبة لدولة سلاجقة الروم ، أهمها الاتصال المباشر مع عالم البحر المتوسط ، ليضيف حافزًا جديدًا لسلطين سلاجقة الروم لفتح منفذ بحرى لهم على سواحل البحر الأسود . وإذا كان السلطان كيخسرو لم يحقق هذا الهدف لأنه أراد أولاً أن يمد نفوذه غربًا إلى سواحل بحر إيجه وبحر مرمرة الأمر الذى أدى إلى نشوب الحرب مع امبرطورية نيقية فقتل كيخسرو فى المعركة التى خاضها ضد لاسكاريس الأول امبرطوار نيقية (٣٣) ، فإن هدف الوصول إلى البحر الأسود قد تحقق على يدى ابنه السلطان عز الدين كيكائوس (٦٠٨ - ٦١٦هـ / ١٢١١ - ١٢٢٠م) .

تطلع عز الدين كيكاس لبط نفوذ السلاجقة على مينائى سينوب وسامسون على ساحل البحر الأسود ، وذلك لتأمين حركة التصدير والاستيراد وتحرير التجارة من الخضوع للتهديدات المفاجئة . ذلك أن الصراع بين لاسكاريس الأول امبراطور نيقية والكسيوس الكبير امبراطور طرابيزون ، قد اتخذ من ساحل البحر الأسود ساحة له ، وأضحى ذلك النزاع يهدد الأمن والاستقرار على حدود دولة سلاجقة الروم الشمالية بين فينة وأخرى الأمر الذى يعود بأسوأ الأثر على سلامة الطرق التجارية العالمية ويعوق التجار من الوصول إلى الشمال(٣٤). وكانت أخر جولات ذلك الصراع أن تمكن لاسكاريس من طرد داود كومنينوس - شقيق الكسيوس - من مينائى هرقله البنطية وأماسرا Amasra ، وكانت السيطرة على تلك المنطقة من قبل أى من القوتين اليونانيتين يشكل تهديدًا لدولة سلاجقة الروم(٣٥) .

وتضيف المصادر السجوقية أسبابًا أخرى لفتح سينوب وسامسون حيث تشير إلى أن حاكم طرابيزون انتهز فرصة النزاع الذى نشب بين الأخوين كيكاس وكيقباذ عقب مصرع والدهما كيخسرو سنة ٦٠٧هـ/١٢١١م وأنه استضعف كيكاس وأمن جانيه فأوقف تسليم الجزية التى كان يدفعها لوالده ، ثم شرع فى الإغارة على ممتلكات دولة سلاجقة الروم المجاورة لطرابيزون مثل سيواس وغيرها وأنه طمع فيها . فوصلت الشكاوى من أهل البلاد الذين وقعت عليهم الغارات ومن حراس الحدود إلى السلطان كيكاس ، وقد وصلت رسالة حراس الحدود إلى السلطان كيكاس وهو فى محفل ملكى مع أمرائه وحاشيته ، فلما فتح الرسالة المختومة وجد فيها الخبر بأن " كيرالكس تكفور جانيه قد بالغ فى الجناية وتوغل فى حدود ممالك السلطان وأحدث الكثير من التخريب والدمار(٣٦) " .

ورغم أن السلطان كيكائوس قد استبد به الغضب عندما قرأ الرسالة إلا أنه كتم غضبه حتى لا يفسد متعة أصحابه . وفي اليوم التالي استدعى أمراءه وقادته ، وعرض عليهم الأمر ، فغضبوا لتلك الاعتداءات ، وأبدوا للسلطان الرغبة في الانتقام من الأعداء ، وأعلنوا استعدادهم لتنفيذ أوامره . فسأل السلطان الأمراء الذين رأوا سينوب ويعرفونها عن كيفية فتحها ، فأجابوه بأن سينوب قلعة في غاية الحصانة والمنعة ، وأنه لا سبيل إلى فتحها والاستيلاء عليها بالقوة ، إلا أن يرسل إليها السلطان في ' هذه السنة ' ٦١١هـ / ١٢١٤م جمعًا من الجيش فيخربون سوادها وقراها ويحرقون غلات أهلها ومزروعاتهم الواقعة خارج أسوار سينوب ، ويمنعون عنهم الميرة الواصلة إليهم من البحر حتى تضيق عليهم الحال . ثم يسير إليها السلطان في السنة التالية ويحاصرها ويضيق على أهلها ، فبهذه الطريقة يمكن أن تستسلم سينوب ، وأكد أولئك الأمراء للسلطان أنه لا يمكن فتحها إلا بالمطاوله ومداومة الحصار ، بسبب حصانتها وتلقيها الامدادات عن الطريق البحر . وبعد مناقشة استقر رأى السلطان وامراته على هذه الخطة ، وتقرر العمل على تنفيذها (٣٧) ، مما يشير إلى حرص السلطان على فتح سينوب ، ذات الموقع القريب على الساحل الجنوبي للبحر الأسود ، مهما كلفه ذلك من ثمن .

وكان أن أرسل السلطان كيكائوس عدد من الأمراء مع عساكرهم نحو سينوب فقدموا أمامهم الجواسيس الذين علموا أن الكسيوس كومنين (كيراكس) حاكم طرابيزون وسينوب خرج للصيد في البراري القريبة من سينوب في عدة قليلة من أصحابه ، فعاد الجواسيس واخبروا قادتهم بالخبر فانتخب الأمراء جماعة من الرجال الشجعان وأمروهم بالانقضاض على الكسيوس . وفي رواية أخرى أنهم كانوا ٥٠٠ من التركمان ، فساروا إليه وباغته مع رجاله حينما كانوا يأكلون ويشربون وقتلوا بعض رجاله وأسروه مع من بقى

على قيد الحياة من أصحابه وكان داود شقيق الكسيوس ضمن القتلى ، ثم حملوه مع أصحابه إلى الأمراء الذين أرسلوا على عجل يبشرون السلطان بأسر امبرطور طرابيزون ويطلبون منه أن يأمرهم بأمره . ولما وصل الخبر للسلطان سُر سرورًا عظيمًا وأيقن بفتح سينوب فأمر بقية جيوشه بالتوجه نحو سينوب لفتحها (٣٨). ولما اقترب السلطان بجيشه من سينوب أمر بإحضار الكسيوس فلما أحضر مقيدًا أمامه ، طيب قلبه وعامله بلطف وكياسه ، ووعده باطلاق سراحه بشرط أن يرسل إلى أهل سينوب يأمرهم بتسليمها إليه . فاختر الكسيوس أحد أصحابه الأسرى ، فأمر السلطان بفك قيده ، وأمره سيده الكسيوس بالذهاب إلى سينوب وإبلاغ أهلها بوجود تسليم المدينة للسلطان فسار إلى سينوب وأبلغ أهلها بأمر ملكهم ولكنهم لم يذعنوا إلى التسليم ، وقالوا في الجواب : " إن كيرالكس التكفور لو كان أسر أو قتل ، فله أولاد يصلحون للتكفورية فننصبهم ولا نسلم البلد إلى المسلمين " (٣٩) . فأمر السلطان كيكاس بعودة الرسول مرة أخرى إلى أهل سينوب ، من باب إلزامهم بالحجة ، ولكن بدون جدوى . فأمر السلطان جنوده بأن يطوفوا بالتكفور الكيسوس كومنين (كيرالكس) وهو يرسف في قيوده الثقيلة حول أسوار سينوب ، وأن يشرعوا في الضغط عليه أمام أعين أهل سينوب ، فإما أن يسلموا المدينة أو يقضى عليه ، وقام الجلادون بتعذيبه حتى ارتفعت صرخاته وأخذ يصرخ ويردد مخاطبًا أهل المدينة " أيها الكفرة لأجل من تبقون المدينة وهم سيفقتلونني ، وسيأخذونكم أسرى مقيدين بالقهر والقسر فما جدوى المقاومة " فكان تأثيره فيهم كتأثير الرخاع في الصخرة الصماء ، على حد تعبير ابن البيبي (٤٠) .

وعمل السلطان على اشعار أهل سينوب بالتصميم على فتح سينوب فأوعز إلى أحد أمرائه ويدعى بهرام ، فتقدم من جهة البحر مع ألف رجل وقطعوا كل الاتصالات بين المدينة والبحر ، وأشعلوا النيران في السفن

الراسية في الميناء وقتلوا كثيراً من ملاحبيها اليونانيين والفرنج . وعلى هذا النحو احدث الحصار أزمة شديدة داخل سينوب واشتدت الضائقة بالمدينة مما أدى إلى انهيار الروح المعنوية لأهل سينوب وعساكرها(٤١) . ثم أمر السلطان مرة أخرى بتعليق الكسيوس كومنين (كيرالكس) مقلوباً على مرأى ومسمع من أهل سينوب وشرعوا في عصره حتى فقد الوعي ، فلما لمس أهل سينوب عزم السلاجقة وتصميمهم على فتح المدينة سيما وقد قطعوا اتصالها بالبحر ، وحالوا دون وصول الأمدادات إليها ، فصاحوا ، وطلبوا عودة رسول التكفور إلى المدينة للتحدث معه ، وحين دخل الرسول للمرة الثالثة قالوا له " لو أقسم السلطان ألا يقتل التكفور وسمح له بالذهاب سالماً إلى ولايته وأعطانا الأمان على أرواحنا وأهلنا وأموالنا وأطفالنا وسمح لنا بالذهاب حيث نريد فإننا نسلم المدينة " (٤٢) .

ولما عاد مبعوث التكفور وأبلغ السلطان بعرض أهل سينوب ، أقسم السلطان كيكافوس في حضور التكفور الكسيوس كومنين (كيرالكس) وفي حضور المبعوث الذي عاد إلى سينوب حاملاً الموائيق والأمان لأهلها فسكنت نفوسهم واطمأنوا ، وطلبوا علم السلطان كعنوان أمان ، فحمل جماعة من أصحاب التكفور كيرالكس (الكيوس كومنين) ومن أصحاب السلطان السناجق إلى المدينة ونصبوها على أسوارها يوم السبت ٢٦ جمادى الآخرة ٦١١هـ / ٣ يناير ١٢٢٤م (٤٣) .

وفي اليوم التالي ٢٧ جمادى الآخرة / ٤ يناير ١٢١٤م دخل السلطان كيكافوس إلى سينوب في احتفال مهيب ، حيث ركبت عساكره ووقفت قبالة المدينة في صفوف منتظمة . وخرج أعيان المدينة ووجهائها بصحبة الأمراء الذين تسلموا المدينة في اليوم السابق ، وقبلوا الأرض أمام السلطان ، وكان

السلطان راكبًا والتكفور كيرالكس (الكسيوس كومنين) يسير على الأقدام فى خدمة ركاب السلطان بوصفه تابعًا ، فسلم أعيان المدينة مفاتيحها للسلطان ، واستمال السلطان بعضهم وخلع عليهم الخلع ، وعادوا إلى منازلهم لاحضار النار الذى ينثر بمناسبة دخول السلطان ودخل السلطان فى موكبه إلى المدينة . وجلس على العرش ، وأقيمت الاحتفالات وترك السلطان التكفور واقفاً مدة ثم أمره بالجلوس فى مكان أعلى من سائر أمراء الدولة ، وبالغ فى اكرامه وتطبيب خاطره ، وأمضى السلطان يوماً كاملاً فى سرور وسعادة ، محتفلاً بانتصاره الكبير (٤٤) .

وفى اليوم التالى ٢٨ جمادى الآخرة ٦١١هـ / ٥ يناير ١٢١٤ م استدعى السلطان كيكافوس التكفور كيرالكس (الكسيوس) وطلب منه التوقيع على معاهدة التبعية التى أعدها نظار الديوان لكى يطلق سراحه ويأذن له بالعودة إلى طرابيزن . ولم يجد التكفور مناصاً من التوقيع على المعاهدة والإذعان بالتبعية للسلاجقة ، ودفع الجزية المقررة . وقد نصت وثيقة المعاهدة على التالى: " أتعهد أنا كيرالكس للسلطان الغالب عز الدين كيكافوس، إذا أعطانى الأمان وحفظ حياتى وترك لى ولأولادى ملك جانيت ما عدا سينوب وأعمالها ومضافاتها ، فعلى أن أدفع له كل سنة اثنى عشر ألف دينار ذهب ، وخمسائة رأس من الخيل ، وألفين من البقر وعشرة آلاف رأس من الغنم ، ومن البضائع التى تجلب إلى الخزينة كل عام خمسين حملاً من كل نوع وصنف ، وخمسة أحمال من التحف ، ترسل على ظهور حيواناتى وأن أنصر السلطان بالجند فى حالة الاحتياج إليهم بقدر ما استطيع فى وقت طلب المدد ، وقد شهد على هذا كل من حضر من أمائل الطرفين من قائم وقاعد (٤٥) .

وبعد التصديق على المعاهدة أدخلت الوثيقة إلى الخزينة السلطانية لحفظها ، مما يشير إلى أنه كان لدى سلاجقة الروم أرشيف خاص بالخزانة

السلطانية لحفظ الوثائق والأوراق الرسمية . ثم أمر السلطان بالخلع والملابس الموشاة بالذهب ، وقلنسوة وفرس أصيلة فأهداها للتكفور كدليل على تبعيته للسلطان ، كما أهدى السلطان بعض إتباع التكفور الكسيوس الهدايا ، وأمر بإعطائهم خيولاً من الأسطبل السلطاني ، وأمرهم بأن يمتطوها ، كما أمر التكفور بأن يمتطى سهوة جواده ، وكان التكفور طويلاً نحيل الجسم ، وما أن وضع السلطان قدمه في الركاب حتى بادر التكفور وأخذ الغاشية (٤٦) من الركابي ووضعها على كتفه ومشى بها ليدل على تبعيته للسلطان ، كأنه لا يعدو أن يكون أحد غلمانه من الركاب دارية ، فلما سار بالغاشية مسافة أمره السلطان بأن يعيد الغاشية للركابي ويركب هو حصانه ففعل ذلك وسار مع السلطان جنباً إلى جنب ، يتجاذبان أطراف الحديد ، وبعد نزهة لمدة ساعة على أطراف الساحل ، عادا إلى سينوب ، وبعد أن تناولوا الطعام معاً ، أذن السلطان للتكفور بالمغادرة ، وأخبره أنه يستطيع أن يصطحب معه من يريده من أتباعه ، وبعد أن ودعه ركب سفينة مع أصحابه وأبحر صوب طرابيزون (٤٧) .

ويمكن أن نستنتج من نص المعاهدة والمبالغ الكبيرة التي التزم إمبراطور طرابيزون بدفعها لدولة السلاجقة حقيقة أخرى وهي أن تلك المقادير الكبيرة من الجزية سوف تزيد من قوة وثراء دولة سلاجقة الروم ، وبالتالي لا بد لحاكم طرابيزون أن يفرض رسوماً كبيرة على مرور التجارة عبر مملكته لتوفير تلك المبالغ وخاصة التجارة القادمة عبر البحر الأسود عن طريق الروس والقفجاق والكرج والبنادقة ، وهذا سيجعل الكثير من التجار يفضلون الموانئ السلجوقية الواقعة على البحر الأسود مثل سينوب الأمر الذي يزيد من ازدهار حركة التجارة وزيادة الدخل لدولة سلاجقة الروم من ناحية أخرى .

وقد ظل أباطرة طرابيزون من هذا الوقت وحتى الغزو المغولى لسلطنة سلاجقة الروم سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م يدفعون الجزية لسلاجقة الروم ، فعندما عدد المؤرخ الفرنسى فانسنت دى بوقا Vincent de Beauvais - فى القرن الثالث عشر الميلادى - الممالك التابعة لسلطان سلاجقة الروم ذكر من بينها حاكم طرابيزون ، وأنه ملزم فى حالة الحاجة وعند الطلب بتقديم مائتين من ذوى الحراب و ١٢٠٠ من العساكر للسلاجقة ، وهذا يؤكد صحة ما ذكره ابن البيبى فى نصوص المعاهدة (٤٨) .

ومكث السلطان كيكائوس فى سينوب وشرع فى أسلمة وتترك المدينة ، فأرسل أوامره إلى كل إنباء دولته وطلب أن يجرى فى كل مدينة اختيار الأشخاص الأغنياء من ذوى المكانة والنفوذ ، وأن يرسلوا إلى سينوب ، وفى حالة لم يبد أحد الأغنياء الرغبة فى الانتقال إلى سينوب بسبب أملاكه وعقاراته، فتسترى تلك الأموال غير المنقولة والعقارات بعد رضائه وموافقته باسم الخزينة الخاصة (خزينة السلطنة) وتدفع له قيمتها كاملة . وعلى هذا انتقل إلى سينوب الرجال من ذوى العقل والدراية والخبرة والأموال ، والأسر الثرية من سائر أطراف الدولة السلجوقية . كما استقدم السلطان إلى سينوب العلماء والفقهاء ، وأصحاب الحرف ، والأيدى العاملة الماهرة بأعداد كبيرة من البلاد الإسلامية . وجرى هدم الكنائس وبنيت فى مواضعها المساجد ، وعين القضاة ، والمؤذنين ، والخطباء ، والمعرفين ، ورتب الحراس من الرجال الشجعان المشهورين لحراسة المدينة وحفظها ، وأنشأ فى سينوب ، المدارس والخانات وسائر التنظيمات الدينية والتجارية ، وجعل فى سينوب صفوة العساكر وخيرة القادة لحفظ ذلك الثغر المهم والدفاع عنه (٤٩) .

أما أهل سينوب الأصليين فقد سمح لهم بالمخادرة مع أسرهم وأموالهم وسائر أئقالهم ورحلوا إلى طرابيزون . ومن قبلَ منهم الذمة فقد مكث فيها

أما اللاجئون الذين فروا من المدينة أثناء المعارك والفتح فقد أعادهم النواب إلى أماكنهم (٥٠) .

ونظراً لأهمية سينوب التجارية والسياسية وحرصاً على تأمينها والحيلولة دون وقوعها مرة أخرى في قبضة قوى معادية ، ولضمان الاحتفاظ بمنفذ دائم على سواحل البحر الأسود ، فقد أصدر السلطان كيكافوس أوامره بإعادة بناء القلعة والأسوار ، وأمر أمراءه وقادته بالإسهام في البناء من أموالهم الخاصة ، فتولى أولئك الأمراء أعمال الإنشاء والبناء . وقد اكتمل العمل بعد ثمانية أشهر من بدئه وتم الانتهاء منه في ربيع الأول ٦١٢هـ / يولييه ١٢١٥م ، ولا تزال الكتابات المنقوشة على آثار أسوار سينوب تحمل أسماء أولئك الرجال الذين أسهموا في تلك العمارة وعددهم خمسة عشرة رجلاً (٥٠) .

عهد السلطان كيكافوس بولاية سينوب لأمير أرمني ، كان قد اعتنق الإسلام ، وصار في خدمة السلطان ، يدعى هيثوم Hethoum ، ويبدو أن ذلك كان بدافع الحرص على تطوير تجارة الاستيراد والتصدير عبر ميناء سينوب ، لأن هيثوم كان مؤهلاً بشكل أفضل من أى تركى للتعامل مع التجار النصارى الذين كانوا يترددون على سينوب (٥١) .

وبسبب فتحه لهذا الميناء المهم على ساحل البحر الأسود تلقب السلطان عز الدين بلقب " السلطان الغالب سلطان البر والبحر " (٥٢) ، ويبدو أن اختيار كيكافوس لهذا اللقب هو شعوره أنه لم تعد هناك قوة فى آسيا الصغرى تضارعه . فإمبراطورية نيقية فى الغرب كانت تدفع له الجزية (٥٣) ، وها هى طرابيزون ذات الهيمنة والنفوذ الواسع فى حوض البحر الأسود تخضع له وتدفع له الجزية وتدين له بالتبعية . وبعد أن نظم كيكافوس سائر أمور سينوب

وانتظمت أعمال الإنشاء والأعمار فى المدينة ، قفل عائداً إلى سيواس وخلع على الأمراء الذين أسهموا فى الفتح وأذن لهم بالعودة إلى بلدانهم وأعمالهم ، وامتألت المدينة بالتجار ورجال الأعمال ، وبدأت عمليات التصدير والاستيراد مع كافة القوى التجارية المتعاملة مع موانئ البحر الأسود(٥٤) .

لقد كان فتح سينوب نقطة تحول كبرى فى تاريخ دولة سلاجقة الروم ، حيث أصبحت عقب ذلك أهم القوى التجارية والسياسية المطلقة على ذلك البحر . ويصف كاهن فتح سينوب بأنه كان النصر العظيم الذى تحقق فى عهد كيكافوس ، حيث أوجد للسلاجقة منفذاً دائماً على ساحل البحر الأسود(٥٥) . وأصبح الأتراك يملكون أفضل قاعدة بحرية على الساحل البونتيكى Pontique (ساحل البنطس) لمراقبة البحر الأسود(٥٦) . وهكذا دخلت سلطنة سلاجقة الروم فى علاقات تجارية واسعة مع روسيا والقفجاق وغيرهم من الأمم الواقعة إلى شمال وشرق البحر الأسود . أما المستعمرات الهلينية القديمة على الشاطئ الشمالى للبحر الأسود فقد انفصلت عن القسطنطينية ، عقب الحملة الصليبية الرابعة وارتبطت بطرابيزون بسبب حاجتها للتبادل التجارى معها ، حيث صدرت إلى طرابيزون العبيد والفرو ، واستوردت منها الأقمشة القطنية والحريرية والتوابل الشرقية ، وبعد أن فتح السلاجقة سينوب ، وأصبحت طرابيزون تدفع لهم الجزية فقد شاركوا فى تلك التجارة مع المستعمرات الهلينية الواقعة على الشاطئ الشمالى للبحر الأسود(٥٧) .

أما ميناء سامسون الواقع إلى الشرق من سينوب فلم تشر المصادر إلى كيف آل إلى السلاجقة ، والراجح أنها كانت من البلاد المضافة إلى سينوب التى سلمها الكسيوس كومننين (كيرالكس) إلى كيكافوس بموجب المعاهدة

التي تحدثنا عنها آنفاً ، إذ تشير المصادر بعد ذلك سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م إلى أن سامسون ضمن البلاد التي أغار عليها روم طرابيزون في تلك السنة (٥٨). وهذا يعنى أن سلطنة سلاجقة الروم أصبحت تملك جزءاً كبيراً من الساحل الجنوبي للبحر الأسود يمتد من شرق سامسون إلى غرب سينوب .

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت سينوب مقر القاعدة البحرية للأسطول السلجوقي الذي أنشأه عز الدين كيكاس في البحر الأسود (٥٩) . ولم يرد في المصادر ذكر عن كيفية بناء الأسطول السلجوقي في سينوب على ساحل البحر الأسود ، إلا أنه يمكن الافتراض أن الرجال اليونانيين من ذوى الخبرة في مجال صناعة السفن وأعمال البحر الذين كانوا في سينوب وأعمالها ومضاقتها قد جرى استخدامهم والافادة من خبرتهم في هذا المجال ، فضلاً عن أن السفن التي كانت في سينوب ونجت من الدمار أثناء الحصار قد آلت إلى الفاتحين الجدد . وقد أشار ابن سعيد المغربي إلى أن هناك دار لصناعة السفن في سينوب ، وكانت الجبال الواقعة إلى الجنوب بين سينوب واماسيا تشتهر بغابات الصنوبر الكثيفة حيث يجرى قطع الأخشاب من تلك الغابات ، وتقل بواسطة مجارى نهري الأحمر (فيزيل ارماق) والنهر الأخضر (يشيل ارماق) حتى مدينة سينوب حيث توجد ترسانة صنع السفن (٦٠) .

من المعروف أن المؤرخين نادراً ما يتحدثون عن التجارة والحالة الاقتصادية طالما ظلت عادية ومنتظمة لأن ذلك يعتبر من الأمور المعتادة لدى الناس . لذلك يركز المؤرخون على الحوادث السياسية والوقائع الحربية والأمور الغريبة . وهذا يزيد من صعوبة البحث في تاريخ التجارة والاقتصاد ، إلا إذا حدثت ظروف سياسية والحقت الضرر بالتجارة والاقتصاد ، عندئذ قد يتطرق المؤرخ للحديث عن ذلك الضرر مما يلقى بعض الضوء على النواحي

الإقتصادية . ومن حسن الطالع فيما يتعلق بموضوعنا هنا ، أن يتحدث ابن الأثير فى معرض حديثه عن غارات المغول على بلاد الروس والقفجاق عن أثر تلك الغارات على التجارة فى حوض البحر الأسود ، الأمر الذى يصور حجم التجارة التى كانت قائمة فى حوض هذا البحر خلال هذه الحقبة بين السواحل الجنوبية الخاضعة لسلاجقة الروم وطرابيزون والقسطنطينية وبين السواحل الشمالية حيث أمم القفجاق والروس وغيرهم ، وذلك فى حوادث سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م عندما بلغت غارة المغول ميناء سغداق (٦١) (كريمةيا Crimea) الواقع فى شبه جزيرة القرم على الساحل الشمالى للبحر الأسود - وهذا الميناء يقابل مينائى سينوب وسامسون السلجوقيين ، وما ترتب على تلك الغارة من نتائج تمثلت فى الانقطاع المؤقت للتجارة بين سغداق (سوداق) والموانئ السلجوقية فقال : " وأقام التتر فى بلاد قفجاق ... وصلوا إلى مدينة سوداق وهى مدينة قفجاق التى منها مادتهم ، فإنها على بحر الخزر (البحر الأسود) والمراكب تصل إليها . وفيها الثياب فيشترى قفجاق منهم ، ويبيعون عليهم الجوارى والمماليك والبرطاسى والقندر والسنباب ، وغير ذلك مما هو فى بلادهم ، وبحر الخزر هذا هو بحر متصل بخليج القسطنطينية . ولما وصل التتر إلى سوداق ملكوها ، وتفرق أهلها منها ، فبعضهم صعد الجبال بأهله وماله ، وبعضهم ركب البحر وسار إلى بلاد الروم التى بيد المسلمين من أولاد قلج أرسلان " (٦٢) . ثم يواصل ابن الأثير حديثه عما فعل التتر بالروس والقفجاق سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م فيقول : " ... ثم أن التتر ظفروا واستظفروا ، فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد أن اتخن فيهم التتر ... وتبعهم التتر يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا أكثرهم ، فاجتمع كثير من أعيان تجار الروس وأغنيائهم ، وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر إلى بلاد الإسلام فى عدة مراكب . فلما قاربوا المرسى الذى يريدونه انكسر مركب من مراكبهم ، فغرق إلا أن الناس

نجوا ، وكانت العادة جارية أن السلطان له كل مركب ينكسر ، فأخذ من ذلك شيئاً كثيراً ، وسلم باقى المراكب ، وأخبر من بها بهذه الحال " (٦٣) . ثم يتحدث ابن الأثير عن عودة التتر إلى بلادهم وزوال الأزمة الاقتصادية التي حدثت وعودة التجارة بين بلاد سلاجقة الروم والروس والقفجاق عبر مياه البحر الأسود فيقول : " ... فساروا إلى سقسين عاندين إلى ملكهم جنكزخان ، وخلت أرض قفجاق منهم ، فعاد من سلم منهم إلى بلادهم وكان الطريق منقطعاً مذ دخلها التتر ، فلم يصل منهم شئ من البرطاسى والسنجاب والقندر وغيرها مما يحمل من تلك البلاد ، فلما فارقوها عادوا إلى بلادهم ، واتصلت الطريق ، وحملت الأمتعة كما كانت " (٦٤) .

ويتضح من حديث ابن الأثير الحركة التجارية الحيوية والمهمة التي كانت قائمة بين دولة سلاجقة الروم وبين الروس عبر ميناء سغداق الواقع فى شبه جزيرة القرم . وإذا كان ابن الأثير قد ذكر أهم ما يرد إلى سلطنة سلاجقة الروم ومنها إلى الشام والعراق من بلاد الروس والقفجاق من سلع مثل الرقيق والبرطاسى (٦٥) وفراء حيوانات السنجاب والقندر وغيرها ، فإنه لم يشر إلى الصادرات التي كانت تصدرها دولة سلاجقة الروم إلى بلاد الروس والقفجاق عبر مدينة سغداق وإنما اكتفى بالقول إنها مدينة قفجاق ومنها مادتهم . وهذا يعنى أن ذلك الميناء كان الميناء الرئيسى للروس والقفجاق وعبره يستوردون سائر المنتوجات والسلع التي لا تنتجها بلادهم . وفى هذا إشارة إلى اعتمادهم على البلاد الواقعة على السواحل الجنوبية للبحر الأسود وعلى رأسها سلطنة سلاجقة الروم التي تصدر إليهم تلك المواد المهمة لحياتهم . كما يتضح من حديث ابن الأثير عمق العلاقات التجارية وتطورها بين سلاجقة الروم والروس والقفجاق عبر مياه البحر الأسود ، حيث اختار اللاجئون بلاد سلاجقة الروم اعتماداً على الصلات القائمة بين

الجانبين . كما أن أعيان تجار الروس اختاروا أيضا اللجوء إلى بلاد سلاجقة الروم وفضلوها على إمبراطورية طرابيزون والإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، وهذا يدل على أن مصالح الروس وعلاقاتهم التجارية كانت مع سلاجقة الروم أوثق وأعمق منها مع طرابيزون أو القسطنطينية وغيرها . وهذا يشير من ناحية أخرى إلى قوة النفوذ السياسى والتجارى لسلاجقة الروم فى حوض البحر الأسود سيما على سواحله الجنوبية والشمالية .

وكيفما كان الأمر فقد بلغ النفوذ السلجوقى فى حوض البحر الأسود ذروته زمن السلطان علاء الدين كيقباز (٦١٦ - ٦٣٤هـ / ١٢٢٠ - ١٢٣٧م) ، وهو أعظم سلاطين سلاجقة الروم ويعتبر عهده أزهى عصور الأناضول وأكثرها عظمة (٦٦) . ولا ترجع عظمة السلطان كيقباز وشهرته إلى الازدهار الاقتصادى والنشاط التجارى والمعمارى الذى تعهده وطوره فى دولته فحسب بل إلى الفتوحات الكبيرة التى قام بها فى مختلف اتجاهات الأناضول حتى وصفته بعض الدراسات الحديثة بـ " جستيان السلجوقى" (٦٧) . وأكثر تلك الفتوحات جرأة وأبعدها طموحا ، الحملة البحرية الكبيرة التى أرسلها السلطان كيقباز فيما وراء البحر الأسود لفتح مدينة سغداق (كرىميا Crimea) على سواحل شبه جزيرة القرم فى أقصى شمال ذلك البحر سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م أى بعد أحد عشر عاما من فتح سينوب . وهذا يشير إلى العمل العظيم الذى تم خلال تلك الفترة ، وهو بناء أسطول ضخم قادر على تحدى كافة القوى المطلة على ذلك البحر ونقل آلاف المقاتلين بمعداتهم وأسلحتهم ومؤنهم من الشاطئ الجنوبى للبحر الأسود إلى الشاطئ الشمالى وفتح مدينة سغداق الميناء المشهور فى شبه جزيرة القرم والمنفذ الرئيسى للروس والقفجاق على سواحل البحر الأسود وتحويله إلى مدينة إسلامية ، ومن ثمة الوصول مباشرة إلى تجارة الرقيق والفراء وغيرها مباشرة دون

وسيط والتحكم فى تلك التجارة مع كافة البلدان التى كانت تعتمد على ميناء
سغداق مثل طرابيزون والقسطنطينية .

يذكر ابن البيبى سبباً لفتح سغداق وهو أن ثلاثة تجار جاءوا إلى حضرة
السلطان علاء الدين كيقيباذ يشكون إليه ما تعرضوا له من مصادرات
ومضايقات على أيدي القفجاق وأهل سغداق ، وعلى أيدي ملك أرمينية
الصغرى ، وعلى أيدي الفرنج على السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى ، وأن
السلطان لما سمع أنباء تلك المظالم استبد به الغضب والضيق وأمر على
الفور بمساعدة أولئك التجار وخاطب كبار رجال الديوان قائلاً : " الروم إن لم
تُغز غزت ، إنه مثله مشهور " (٦٨) وقرر على الفور إرسال ثلاثة جيوش فى
وقت واحد أحدها إلى مملكة أرمينية الصغرى فى قِيلِيقِيَّةَ وآخر إلى السواحل
الجنوبية لآسيا الصغرى ، أما الجيش الثالث - وهو الذى يهمننا هنا - فبالى
شبه جزيرة القرم بواسطة أسطوله فى البحر الأسود ، لفتح ميناء سغداق .
وقد ذكر ابن البيبى فى روايته أن السلطان أشار أثناء حديثه إلى أمراته أنه
لم يترك غزو تلك البلاد والأمم قبل ذلك إلا رحمة منه ، وأنهم إذ لم يقدرُوا تلك
النعمة ، وألحقوا الضرر بالتجار السلاجقة فإنه لا بد من معاقبتهم وإخضاعهم
وإعادتهم إلى صوابهم (٦٩) . ويرى الأستاذ عثمان توران أن من أسباب تلك الحملة
أيضاً الأضرار التى حدثت لمدينة سغداق أثناء غارة المغول عليها سنة ٦٢٠هـ /
١٢٢٣م فضلاً عن محاولات روم طرابيزون الاستقرار فى هذا الميناء (٧٠) .

أمر السلطان أمير تخوم قسطنطينية حسام الدين جوبان (٧١) بقيادة
الحملة البحرية المتجهة إلى سغداق ، وكان حسام الدين جوبان زعيماً
للتركمان الأوج الذين اشتهروا بالبسالة وشدة المراس . وقد نقلهم الأسطول
السلجوقى من سينوب صوب سغداق فى شبه جزيرة القرم ، ولما رأى أهل
سغداق سفن الأسطول السلجوقى وهى تتقدم نحوهم مثل الغابة ، أرسلوا على

عجل مركبًا يحمل رسولاً إلى حسام الدين جوبان ليظهر الطاعة للسلطان ويتذلل له ، ويسأل عن سبب إرسال هذا الجيش الكثيف عبر البحر " فإذا كان قد ظهر فتور في دفع الجزية ورسم العبور فيمكن سداد ما علينا من غرامة " وذكر رسول أهل سغداق أنه إذا كان هدف الحملة السلجوقية هو الروس وليس أهل سغداق فإنهم على استعداد للانضمام إليهم والقتال تحت لوائها(٧٢). وهذا يشير إلى سوء العلاقات بين سكان هذا الميناء الشهير والروس خلال هذه الحقبة .

وقد عرض رسول أهل سغداق على القائد السلجوقي دفع جزية سنوية مقدارها خمسين ألف دينار مقابل عودة الحملة من حيث أتت ، ولكن حسام الدين جوبان رفض هذا العرض وأصر على فتح ميناء سغداق ، وأعلن للرسول في حضور كبار رجاله ومقدميه على ظهر سفينة القيادة أنه " ما قاد هذا الجيش لكي يقايض سوق القتال بذهب كاسد وأنه لن يسلك طريق الفشل بسبب القول الفاسد لكل رسول وقاصد ، وكل من يلوى عنقه عن أمر السلطان فسوف يجعل طوق عنقه رباق الخذلان وأما من أدخل رأسه في دائرة الطاعة فلن يذوق منه إلا لذة المن والسلوى "(٧٣) ثم تلى قول الله تعالى : ﴿ أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا نكرًا . وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاء الحسنى وسنقول من أمرنا يسرا ﴾(٧٤) . وهذا يدل أن لدى القائد حسام الدين جوبان أوامر صارمة من السلطان بوجوب فتح سغداق وضماها لسلطنة سلاجقة الروم وعدم الاكتفاء بالخضوع الشكلي ودفع الجزية . لأن السيطرة المباشرة على سغداق يعطى سلاجقة الروم هيمنة مطلقة على تجارة البحر الأسود ، ويجعل سائر القوى الأخرى في هذا البحر مثل طرابيزون والبنادقة واللاتين فضلاً عن الروس والقفجاق تحت رحمة

السلاجقة ويجبرهم على الخضوع لنفوذهم السياسى والتجارى على سواحل هذا البحر .

وقد أرسل أهل سغداق فى الوقت نفسه رسولا يستجد بخان القفجاق الذى أرسل بدوره يستجد بملك الروس ، وحشد خان القفجاق من قبائل الروس والقفجاق والترك من أهل مدينة سقسين (٧٥) نحو عشرة آلاف مقاتل لنجدة أهل سغداق الذين انتظروا الجواب الذى سيعود به رسولهم من لدن حسان الدين جوبان (٧٦) .

أرسى الأسطول السلجوقى ونزلت العساكر على اليابس بالقرب من سغداق ، وأقاموا معسكرهم وبثوا كشافتهم حوله ، وأمضى أفراد الجيش ليلة استراحوا فيها من عناء الرحلة البحرية ، وفى الفجر جاء أحد فرسان الكشافة السلجوقية ليخبر الأمير حسام الدين جوبان باقتراب جيش القفجاق وحلفائهم ، فأمر القائد حسام الدين جيشه بالتأهب لمنازلة جيش العدو ، وأمر بقرع الطبول ، وارتداء الدروع ومواجهة هجمة جيش العدو الأولى بصفوف متراصة صابرة لمعرفة طريقة قتالهم حتى كسر حدة الهجوم الأول ، فإذا عرف جيش السلاجقة أسلوب وخطة جيش العدو أمكن القيام بعد ذلك بهجوم مضاد . وقد نجحت تلك الخطة فى قتال اليوم الأول ، وتكبد جيش القفجاق وحلفائهم خسائر كبيرة وانفصل القتال عند حلول الظلام . وفى اليوم التالى عاود القفجاق الهجوم ، فباغتهم جيش السلاجقة بهجوم مضاد سريع وحصد الكثير من قوات العدو ، وحلت الهزيمة الساحقة بالقفجاق ، ومن بقى على قيد الحياة لاذ بالفرار وحاز الجيش السلجوقى غنائم وافرة (٧٧) . وقد أجبرت تلك الهزيمة خان القفجان على إرسال الهدايا وقبول التبعية للسلطنة السلجوقية ودفع خمسة آلاف دينار كفدية مع تقديم الهدايا (٧٨) .

وقد فتت تلك الهزيمة التي حلت بالفقجاق فى عضد ملك الروس الذى رأى من مصلحته عدم المجازفة بقتال القوات السلجوقية فانتخب رسولاً ذا هيبة وعقل ليحمل رسالة أرسلها إلى الأمير حسام الدين جوبان يدعو فيها بطول البقاء للسلطان علاء الدين كيقيباذ ، ويذكر فيها خوفه ورعبه من جيش السلطان ويتصل من حماقة الفقجاق الذين قاتلوه ، ويعلن تبعيته للسلطان كيقيباذ، ويتوسل إلى الأمير حسام الدين أن يعتبره مملوكاً للسلطان يتولى أمر بلاده من قبله ، ويطلب من الأمير حسام الدين أن يتشفع له لدى السلطان لقبول تبعيته وخضوعه . وبعث ملك الروس مع رسوله هدايا كثيرة من الخيول والفراء والجلود ، والكتان الروسى ، وعشرين ألف دينار (٧٩) .

وعندما اقترب المبعوث الروسى من معسكر الجيش السلجوقى ، ودقق النظر فى هيئة الجند وتنظيماتهم ارتاع لما رآه من الضبط والربط وحسن التنظيم ، وهمس يردد " يا رب الأرباب " ، ولما علم الأمير حسام الدين جوبان بوصول مبعوث ملك الروس أمر باستقباله بالحفاوة والإكرام ، وأن ينزل فى خيمة خاصة ، وبعد أن أقام ليلة واحدة أرسل فى طلبه ، وأمر بتزيين خيمة القيادة بكل مظاهر الأبهة التى لا يعرفها الروس ، وأن يصطف عدد من الجنود الشباب وقد لبسوا السلاح ، وأن تنتظم خيول الحراسة بالطوق واللجام بمحاذاة خيمة القيادة ، وأن تنتظم فيالق الجيش فوجاً فوجاً وهى فى كامل أسلحتها فتقف فى كل ناحية ، وقد وضعت الرماح على الأكتاف . وقد مكث المبعوث الروسى زمناً عند باب الخيمة وقد أدهشه وأرعبه ما رآه بأمر عينيه، ثم دخل إلى حضرة الأمير حسام الدين جوبان فوضع رأسه على الأرض متذللاً ، وسلم الرسالة والأموال والتحف ، فأخذها منه ووزعها فوراً على الجيش . واستبقى الرسول عنده ثلاثة أيام ، واستشار امرأه فى قبول عرض

الملك الروسى ، فأشاروا عليه بقبوله على أن يعرض الأمر على السلطان كيقباز ، وعند ذلك استدعى المبعوث الروسى وأخبره بقبول عرض ملك الروس وأذن له بالعودة إليه ، بعد أن زوده بالخلع والهدايا ، وبخلعة سلطانية خاصة وقلنسوة سلطانية ، وسلمه رسالة للملك الروسى ، ثم أرسل بعد ذلك أموالاً وغنائم كثيرة إلى سينوب وقصطمونية(٨٠) .

وحين سمع أهل سغداق بهزيمة جيش القفجاق وحلفائهم ، ومهادنة ملك الروس وخضوعه للسلاجقة ، فت ذلك فى أعضادهم بيد أن رأى الشباب المتحمس من سكان المدينة الداعى إلى المقاومة والقتال تغلب على رأى المطالبين بالاستسلام ، وشرعوا فى الاستعداد وتجهيز سائر الذخائر والأسلحة(٨١) .

أما الجيش السلجوقى فجاء إلى سغداق وحاصرها فلما ضاق أهل المدينة بالحصار ، اندفع شباب المدينة عبر الأبواب لقتال الجيش السلجوقى ، وجرت اشتباكات بينهم وبين العساكر السلاجقة ، وبعد أن عادوا حين حلول الظلام وضع حسام الدين جوبان خطة قتالية لليوم التالى تتمثل فى الارتداد والتظاهر بالهزيمة حتى يخرج أكبر عدد من المقاتلين من داخل المدينة فى أثر جيوشه فى حين تكون هناك كمانت فى الخلف تطوق المهاجمين وتقطع عليهم خط الرجعة ثم ينعطف الفرسان عليهم ويجرى خوض المعركة الحاسمة . ونفذت الخطة بإحكام حتى تم استدراج قوات أهل سغداق إلى خارج المدينة ، وانعطفت العساكر السلجوقية عليهم وأعملت فيهم السيوف حتى امتلأت المناطق المحيطة بالمدينة بدمائهم وجثثهم ، وحلت بأهل سغداق هزيمة ساحقة(٨٢) .

وعاد الجنود السلاجقة إلى معسكرهم بعد أن قتلوا بضعة آلاف من شباب سغداق فى ميدان المعركة . وأدرك كبار السن ووجهاء سغداق مدى

الحمافة التي ارتكبوها بالاتسياق خلف الشباب المتحمس الذين راحوا ضحية إصرارهم على القتال ، فقررروا التذلل للجيش السلجوقي ، وأرسلوا سفارة مكونة من عدة أشخاص عرفوا بالخبرة وطول التجربة إلى قائد الجيش السلجوقي حسام الدين جوبان ، فلما أذن لهم بمقابلته قبلوا الأرض تذلاً وخضوعاً ، وتقدموا إليه بالتأسف على ما حدث ، واعتبروا ما حدث من مواجهة مع القوات السلجوقية ضرباً من ضعف الرأي وفساد التصور ، وأنه كان يجب عليهم الخضوع والاستسلام منذ البداية ، وطلبوا قبول عذرهم وخضوعهم له ، وحثوه على العفو عنهم ، والاقتداء بأمر المؤمنين على بن أبي طالب الذي قال : " إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه " (٨٣) . وأظهر أعضاء السفارة استعداد أهل سغداق للخضوع المطلق للسلاجقة وتأدية كل ما يلزمونهم به من خراج ، ودفع كل ما يفرضونه عليهم من جزية ، وأن يتحملوا دفع كل أموال التجار السلاجقة الذين اشتكوا للسلطان وفقدوا أموالهم في ساحل سغداق ، وأعلنوا قبولهم للخضوع للحاكم الذي يعينه على مدينتهم وخدمته بإخلاص وصدق نية ، وإخلاص طوية . وبعد أن استمع حسام الدين جوبان لحديث سفراء أهل سغداق ، أجاب بأن ما حدث من قتال كان سببه تهور شباب أهل سغداق الذين أصروا على القتال فراحوا ضحية رأيهم الطائش ، وأخبرهم أنه لن يبت في طلبهم إلا بعد رفع الأمر للسلطان كيقباز ، وطلب منهم الانتظار حتى يأتي جوابه ، ووعدهم بالتشفع لدى السلطان ليقبل خضوعهم ويمن عليهم بالعفو (٨٤) .

عاد أعضاء الوفد إلى المدينة وأخبروا أهلها بما جرى بينهم وبين قائد الجيش السلجوقي ، ومكثوا طوال الليل يجمعون الهدايا ، حتى اجتمعت منها خزانة ضخمة من الخيول ، والرقيق ، والتحف ، والفراء ، والمنسوجات ، وغير ذلك لتقدمها لقائد الجيش السلجوقي . وأمر حسام الدين جوبان عساكره

لبس السلاح لاستقبال أعيان سغداق ، وجلس فى خيمته مع كبار قادته فى انتظارهم ، لكن ما أن فتحت الأبواب حتى اندفع أهل سغداق كباراً وصغاراً واختلطوا بالجنود وقدموا لهم الهدايا والأموال التى حملوها ، فامر الأمير حسام الدين جوبان على الفور بتجهيز سفينة سريعة لكى تنقل " أخماس الخاص السلطاني " مع الهدايا الأخرى فى صحبة رسول ليبشر السلطان بالفتح (٨٥) . فلما وصل الرسول إلى السلطان كيقباز وبشره بفتح لؤلؤة القرم " سغداق " وهزيمة التفجاق وخضوعهم ، ومهادنة ملك الروس ، أظهر السلطان الفرح والسعادة ، فأمر بإطلاق سراح المسجونين ، وأمر التاجر الذى تعرض للمصادرة فى سغداق بالعودة مع الرسول لتسلم أمواله ، كما بعث مع الرسول شكره لقائده حسام الدين جوبان وسائر الجنود الذين ساهموا فى ذلك الفتح الجليل ، كما بعث بالخلع السلطانية ، للقائد وسائر القادة الذين معه من خزانة ثياب السلطنة . وأظهر السلطان قبول شفاعة حسام الدين جوبان فى أهل سغداق ، وقبول خضوعهم للسلطنة ، ولكنه اشترط على أهل سغداق أن يحل المحراب والمنبر وشريعة المصطفى محمد ﷺ شعاراً وقانوناً محل الوثن والناقوس ، وأن يعيدوا كل ما فقدته التاجر السلجوقى فى تلك البلاد . ولما وصل أمر السلطان وقرئ على رؤوس الأشهاد فى سغداق ، عوض التاجر عن كل درهم فقدته بدينار . ثم أقام الجيش عرضاً عسكرياً فى سغداق ، وأقيم أثناء العرض منبر ووضع المصحف فوق طبق ذهبى ، فحمله الأمير حسام الدين جوبان على رأسه ، وأخذ راية السلطان بيده ودخل وسط المدينة بكل أبهة وجلال ، وأذن المؤذن فى مكان عال ، وجرى تحطيم الناقوس المعمول به عند النصارى ، وأقيمت شعائر الإسلام . واشترك الجنود فى بناء مسجد جامع وأتموه فى مدة وجيزة ، ثم عين الأمير مؤذناً وقاضياً وخطيباً ، وأخذ من أبناء كبار أعيان سغداق رهائن لضمان ولائهم ثم انتخب أحد قادة

الجيش مع فرقة عسكرية لحماية سغداق ، وجهاز سفنه وعاد بجيشه عبر البحر الأسود إلى حضرة السلطان ، وذلك سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م (٨٦) .

لقد اعتد السلطان علاء الدين كيقيباذ بهذا الفتح الجليل وتلقب عقب ذلك بلقب سلطان البحرين والبرين (٨٧) ، والمقصود بالبرين بر آسيا الصغرى وبر القرم شمال البحر الأسود ، أما المقصود بالبحرين فهما البحر المتوسط والبحر الأسود .

إن قصة هذه الحملة على سغداق ، تظهر لنا - من ناحية - التفوق البحرى للسلاجقة فى مياه لبحر الأسود ، بحيث لم يعد هناك قوة بحرية يمكن أن تهدد الأسطول السلجوقى وتحول بينه وبين نقل جيش كبير بكامل عدته وعتاده إلى الساحل الشمالى لهذا البحر . وتظهر - من ناحية أخرى - الخبرات العسكرية التى اكتسبتها الجيوش السلجوقية فى صراعاتها العديدة مع البيزنطيين والأرمن والفرننج وغيرهم من القوى ، بحيث لم تتمكن قوات الروس والقفجاق وأهل سغداق من مضارعة تلك الخبرات العسكرية وبدأت خططهم وطريقة قتالهم بدائية وساذجة أمام جيش السلاجقة فحلت بهم الهزيمة ولم يعد لهم مناص من الخضوع والتبعية .

وقد دام حكم السلاجقة المباشر لسغداق زهاء خمسة عشر عامًا حتى سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م ، حين غزا المغول تلك المناطق مرة أخرى (٨٨) . على أن أثر فتح السلاجقة لسغداق لم ينته بغزو المغول فقد ظلت مدينة إسلامية بعد الاجتياح المغولى إذ يذكر أبو الفدا الذى تحدث عنها بعد نحو قرن من فتحها بأن أهلها مسلمون (٨٩) . وهذا يدل على أهمية تلك الحملة البحرية التى أدخلت هذه المدينة إلى دائرة الإسلام .

وهكذا بلغ نفوذ سلاجقة الروم فى حوض البحر الأسود قمته سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م زمن السلطان علاء الدين كيقيباذ ، حيث أصبح السلاجقة

يسيطرون على أجزاء واسعة من السواحل الجنوبية لهذا البحر بالإضافة إلى ميناء سغداق على شبه جزيرة القرم ، وإذا تأملنا القوى الأخرى المطلية على البحر الأسود لا نجد لها تتمتع بمثل هذا النفوذ ، فالبنادقة أصحاب النفوذ القوى فى القسطنطينية كان اعتمادهم على المتاجرة مع السلاجقة على سواحل هذا البحر ، حيث قد جرى عقد اتفاقات تجارية بين الجانبين (٩٠) . كما أن طرابيزون وإمبراطورية نيقية كانتا تدفعان الجزية لدولة السلاجقة ، كما أشرنا آنفا ، الأمر الذى أدى إلى ازدهار التجارة السلجوقية وتدفق الثروات على سلطنة سلاجقة الروم . ويبدو أن سيطرة السلاجقة على سغداق عاد بأسوأ الضرر على تجارة طرابيزون (٩١) وحرمتها من المتاجرة المباشرة مع الروس والقفجاق إلا بواسطة التجار السلاجقة أو الخضوع للرسوم التى يحتمل أن السلاجقة فرضوها على تجارتها عبر ميناء سغداق .

الهوامش

- (1) Turan : Anatolia in the period of Seljuks and Beyliks in Cambridge History of Islam, Vol. IA Camb. 1980 . PP.231- 235.
 - (2) Vryonis , Jr, Speros : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and Process of Islamization From the Eleventh through the Fifteen Century. London 1971 .p .160 .
 - (3) Anna Comnena : The Alexiad, tr E.R.A.Sewter, London ,1969.p.237.
 - (4) Turan , Osman : Selcuklular Zamaninda Turkiye , Istanbul , 1996 . p. 125; Irene, Melikoff : La Gesta de Melik Danismend, Tom I .Paris, 1960.p. 108; Casanova, p: La Numismatique des Denichmendites, Revue Numismatique 1894 - 1896 , Tirge apart Paris .1896.p.27.
 - (5) Anna Comnena :The Alexiad , p.625; Turan : Anatolia in the period of Seljuks and Beyliks.p.237.
 - (6) Turan : Anatolia in the period of Seljuks and Beyliks , p.237.
 - (7) Vryonis : op .cit.p.161 - 162.
 - (8) Turan: Anatolia in the period of Seljuks and Beyliks,p.239.
 - (9) Michel le Syrien : Extrait de la Chroniques, traduit en Francais par Chabot, Paris, 1905 .Vol , 3 , p . 230; Cinnamus , John : Epitome Historiarum , C.S . H . B .Bonn , 1836 . pp. 14 - 15'51 ; Nicetas , Choniates : A Comineatus Historia , C. C . H . B . Bonn, 1835 . pp. 27- 28 ; Chalandon , Ferdinand : Les Comnene II Jean II Comnene (1118 - 1143) et Manuel I Comnene (1143 - 1180) Paris , 1900 - 1912 .p . 81 .
 - (10) Cinnamus : op . cit . p. 15 ; Choniates : op . cit . pp. 28 - 29 ; Michel Le Syrien : op.cit. p.233
- أبو الفرج ابن العبري : تاريخ الزمان ص ١٤٥
- (11) Cinnamus : op.cit.p.20 ; Michel Le Syrien : op. cit. Vol. 3 . p. 234; Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 172 .
 - (12) Cinnamus : op.cit.p.20 ; Vryonis : op. cit. p. 119; Ostrogorsky, George : History of the Byzantine State, translated by Joan Hussey, Oxford, 1968.

(١٣) ابن العبري : تاريخ الزمان ص ١٥٤ وانظر أيضا :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 176.

(14) Cinnamus : op. cit. pp. 24 - 27; Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 176 - 177 ; Cahen, Claude : Pre Ottoman Turkey, translated From the Franch by J. Jonis William. London, 1968. p. 96.

(15) Cinnamus: op. cit. pp. 135; Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye pp. 200 - 201.

(١٦) عن معركة ميريوكيفالون . انظر : مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، العدد الأول ١٤٠٩هـ ص ١٢١ - ١٥٠ .

(17) Turan: Anatolia in the Period of Seljuks and Beyliks, p. 243.

(18) Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye pp. 216 - 217.

(19) Choniates: op. cit. o.540.

(20) Cahen : Pre Ottoman Turkey, p. 117.

(21) Choniates: op. cit. pp. 540 - 541 ; Finaly, G. : History of the Byzantine and Greek empires, London, 1952. pp. 273 - 275 ; Osman, Turan: Selcuklular resme Vesikalar. Ankara, 1958. pp. 122 - 123; Savvides, G. C. Alexis : Byzantium in the near East : its relations with the Seljuk Sultanate of Rum in Asia Minor, the Armenians of Cilicia and Mongols, A. D. C. 1192 - 1237; Kentpon, Byzantinon Epeynon AAONIKH 1891., p. 85.

(22) Villehardouin, Geoffrey: La Conquete de Constantinople par les Barons Francais associez que Venitians L'an 1204. Translated by Sir Marzials, London. 1965. pp. 85 - 86; Savvides: op. cit. p. 53.

(٢٣) انظر ابن بيبى : الأوامر العلانية ص ١٤٧ : مختصر سلجوقنامه ص ٥٦ ؛ منجم باشى المولوى : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٥ ب .

(24) Savvides: op. cit. pp. 60, 66 - 68; Angold: A Byzantine Government in Exule, 1204 - 1261, Oxford, 1975; Ostrogorsky, George: History of the Byzantine State, Translated by Joan Hussey, Oxford, 1968; The Cambridge Medieval History, Vol. IV, the Byzantine Empire, part I, Byzantium and its neighbours, Cambridge Univeraity Press 1979.

(25) Savvides: op. cit. p. 68 ; Ostrogorsky: op. cit. p. 426.

(٢٦) عن وصول كيخسرو إلى العرش مرة ثانية انظر :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye pp. 268 - 278.

(٢٧) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ص ٢٤٢ .

(28) Turan: Antaolia in the period of Seljuks and Beyliks, p. 245.

(29) Cahen: Le Commerce Anatolien, p. 91.

(30) Cahen: Le Commerce Anatolien, p. 91.

(31) Cahen: Le Commerce Anatolien, p. 91.

(32) Niktas Chonites : op. cit. pp. 664 - 665 ; Savvides : op. cit. pp. 86 - 89; Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye pp283 - 284 ; Cahen : Le Syrie du Nord, p. 626; Sayr, I. M. : The Empire of Salcuqids of Asia Minor, Journal of Near Eastern Studies, Vol. 10 - 11 (1951 - 1952) pp. 268 - 280, p. 270.

(33) George Acopolita: Opera. Ed. Heisenberg, Leipzig 1903, p.17; Wittek, P. The Rise of the Ottoman Empire. London, 1938. pp. 16 - 31.

(34) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 303.

(35) Ibid.

(٣٦) ابن البيبي : الأوامر العلائية ص ١٤٦ - ١٤٧ ؛ منجم باشى المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٥ أ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ٦٥ . والملاحظ على هذه المصادر أنها تطلق اسم جانيت على طرابيزون ، كما تطلق لقب التكفور على صاحب طرابيزون . وينكر حسن الباشا أن لقب تكفور كان يطلق على متملك سيس فى عصر سلاطين المماليك . الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ص ٢٣٣ . وقد ذكر أنطون صالح اليسوعى فى تعليقه على كلمة تكفور ، أنها لفظة أرمنية تعنى ملك ، انظر ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، تصحيح وفهرسة الأب أنطون صالح اليسوعى ص ٤٤٨ حاشية رقم (٢) . ونجد هذه المصادر المختصة بسلاجقة الروم تطلقه على صاحب سيس - ملك الأرمن - وعلى إمبراطور طرابيزون على حد سواء ، فنقول : تكفور جانيت لصاحب طرابيزون - وتقول تكفور الأرمن لملك أرمنية الصغرى انظر ، على سبيل المثال : ابن البيبي ص ١١٤ - ١١٩ ، ١٦٢ ؛ منجم باشى المولوى ؛ صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤ ب ؛ مختصر سلجوقنامه ص ٥٠ - ٥٣ .

(٣٧) ابن البيبي : الأوامر العلائية ص ١٤٧ - ١٤٨ ؛ منجم باشى المولوى : صحائف

الأخبار ورقم ٥٧٥ أ ب ؛ مختصر سلجوقنامه ص ٦٥ - ٦٦ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 303.

(٣٨) ابن البيبي : ص ١٤٨ - ١٤٩ ؛ منجم باشى : ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامه
ص ٦٦ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye pp.303 - 304 ; Ali Sevim,
Yasar Yucel : Turkiye Tarihi, Fetih, Selcuklu ve Beylikler Danemi
Turk Tarih Kurumu Yayilari - Ankara 1989. p. 150 ; Ostrogorsky
: History of the Byzantine State, p. 413 .

(٣٩) ابن البيبي : ص ١٤٩ - ١٥٠ ؛ وانظر أيضاً : منجم باشى ، ورقة ٥٧٥ ب ؛
مختصر سلجوقنامه ص ٦٧ - ٦٨ .

(٤٠) ابن البيبي : ص ١٥٠ - ١٥١ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ٦٨

(41) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 304; Ali Sevim : op. cit
. p. 150.

(٤٢) ابن البيبي : ص ١٥١ ؛ منجم باشى ، ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامه ص ٦٨

(٤٣) ابن البيبي : ص ١٥١ - ١٥٢ ؛ منجم باشى ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامه
ص ٦٨ ، والسنجق : لفظ تركى كان يطلق أصلاً على الرمح ثم أطلق على الراية
التي تربط به ، وكانت السناجق تحمل فى مراكب السلطان . انظر القلقشندى : صبح
الأعشى جـ ٤ ص ٨ ، جـ ٥ ص ٤٥٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢٥
حاشية رقم (١) .

(٤٤) ابن البيبي : ص ١٥٢ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ٦٩ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 304.

(٤٥) ابن البيبي : ص ١٦٣ ، وانظر أيضاً مختصر سلجوقنامه ص ٦٩ الذى ذكر أن
المبلغ الذى يتعين دفعة ١٠٠٠٠ دينار ذهب ، والمعروف أن صاحب هذا المختصر
ينقل عن ابن البيبي ، وانظر أيضاً :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 304.

(٤٦) الغاشية هى سرج من أديم مخرزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من
الذهب ، كانت تحمل بين يدى السلطان عند ركوبه فى المواكب والاحتفالات
والأعياد ، يحملها أحد الركاب دارية رافعاً بها يديه ويلفتها يميناً وشمالاً .

انظر : القلقسندی : صبح الأعشى ج٤ ص ٧ ، ١٢ ، والركاب دارية هم الموكلون بحمل الغاشية بين يدي السلطان في تلك المناسبات ، صبح الأعشى ج٤ ص ٧ ، ١٢ .
(٤٧) ابن البيبي : ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ منجم باشي : ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامه ص ٦٩ - ٧٠ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 305.

وقد أشارت بعض المصادر العربية باختصار إلى قصة وقوع التكفور في قبضة السلطان وتسليمه للسلطان بلاد لم يدخلها المسلمون من قبل أبداً ولكنها أخطأت في اسم التكفور فظنته لاسكاريس صاحب نيقية . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج١ ص ٢٢٥ ؛ أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١١٦ ؛ ابن الوردي ج٢ ص ١٩٧ .

(48) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 305.

نقلاً عن :

Vincent de Beauvais, Miroir Historiale, Terc. J. de Vigny, Paris 1531, bahis CXLIV.

(٤٩) ابن البيبي : ص ١٥٤ ؛ منجم باشي المولى : ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامه ص ٧٠ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 305; Ali Sevim : op. cit p. 150.

(٥٠) أما أولئك الأمراء والرجال الذين أسهموا في بناء أسوار قلعة سينوب فهم : زين الدين بشار صاحب ولاية نكيدة ، وأبو بكر بديع الدين بن قايماز صاحب سيمرة ، وحسام الدين يوسف أمير ملطية وكبار رجالها ، ورئيس شرطة قيصرية بهاء الدين قوتوغجه ، والأمير عماد الدين أياز ، وجلال الدين قيصر ، وسراج الدين عمر ، وحاكم سيواس مبارز الدين بهرام شاه بن قايماز ، وأمير أماسية مبارز الدين عبد الله بن على ، وصاحب خوناس ومنطقتها أسد الدين أياز ، وصاحب هرقله شجاع الدين أحمد بك ، وصاحب قيرشهر وأق سراي سيف الدين إل دينز . وباستثناء ما هو مؤرخ في سنة ٦١٥هـ فإنهم قد أنهوا هذه الإنشاءات في ربيع الأول وربيع الآخر عام ٦١٢هـ الموافق يولييه ١٢١٥هـ . وقد سجلت الكتابات اسم المعماري مسعود بن ارتق القيصري ، والمعماري سيواستوس ، وانخطاط نجم الدين يواش القيصري .

نسبت إلى كيقباز بسبب شهرته الواسعة وجهوده الكبيرة في الإعمار . وإذا عرفنا أن عز الدين كيكافوس قد فتح سينوب وبنى بها مسجداً فمن الممكن أن يكون هذا المسجد من انشائه رغم أنه ينسب إلى كيقباز ، ويدل على ذلك المدرسة التي بناها كيكافوس والتي تحمل كتابة مكسورة ومهشمة وضاع منها التاريخ وبقت منها عبارة (أبو الفتح عز الدين) انظر :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 306; Combe (Et.) Sauvaget (J.) Wiet (G.) : Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, 15 vols, Le Caire, 1931. vol 10, 3760 - 3774; Ulkutasir, Sinop'ta Selcukliere aid tarihi eserler, Tarih ve Arkeologye, dergisi V, pp. 120 - 131, 142.

(51) Cahen : Pre Ottoman Turkey, p. 123.

(52) Ali Sevim : op. cit. p. 150; Repertoire, vol. 10. 3761.

(53) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 299.

(54) Ibid. p. 307.

(55) Cahen : Pre Ottoman Turkey, p. 122.

(56) Cahen : Le Commerce Anatolien, p. 94.

(57) Ibid.

(58) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 361.

(59) Turan : Anatolia in the Period of the Seljuks and Beyliks, p.246.

(٦٠) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ص ١٩٥ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 339, Cahen : Pre Ottoman Turkey, p. 158.

(٦١) سفدراق (أو سوداق) مدينة في ذيل جبل وأرضها محجر وهي مسورة على شط بحر القرم وهي فرضة للتجار يقابلها من الجنوب ميناء سامسون وأهلها أخلط من الأمم والأديان بسبب أهميتها التجارية . انظر ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ص ٢٠٣ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٦٢) ابن الأثير : الكامل ج١٢ ص ٣٨٦ .

(٦٣) نفسه ص ٣٨٨ .

(٦٤) نفسه ص ٣٨٨ - ٣٨٩ ؛ وانظر أيضًا الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، الطبعة الثانية والستون ٦١١ - ٦٢٠ هـ ص ٤٤ - ٤٥ .

(٦٥) البرطاسي : نوع من الفراء يجلب من مدينة برطاس إلى الشمال من بحر قزوين والبحر الأسود ، يقول عنهم ياقوت الحموي : إنهم متاخمون للخزر ولأهل برطاس لغة ليست بتركية ولا خزرية . معجم البلدان مادة برطاس .

(66) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 325.

(67) Sauvides : op. cit. p. 152.

(٦٨) ابن البيبي ، ص ٣٠٠ - ٣٠٣ . وانظر أيضًا : مختصر سلجوقنامه ص ١٥٥ - ١٥٦ ؛ منجم باشي المولوي : ورقة ١٥٢٩ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٦٩) ابن البيبي ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(70) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٧١) اكتسب حسام جويان مكانة عالية في خدمة دولة سلاجقة الروم ، وكان مشهورًا بذكائه وبطولته وكثرة أتباعه وجنده ، وقد اكتسب الاحترام في كل أرجاء الدولة بسبب رعايته للعلماء والشعراء والأبطال ، وكان يشتري الممالك القفجاق القادمين من الشمال بالإضافة إلى جنوده التركمان يرعاهم ويعلمهم ثم يرسلهم للغزو ، ونظرًا لإخلاصه في الخدمة ظل أولاده من بعده يلون أمر كصطمونية ويحافظون عليها .
انظر :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٧٢) ابن البيبي ، ص ٣١٠ - ٣١١ ؛ مختصر سلجوقنامه ، ص ١٥٦ - ١٥٨ .

(٧٣) ابن البيبي ، ص ٣١١ - ٣١٢ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٧٤) الكهف : آية ٨٧ - ٨٨ .

(٧٥) ذكر القزويني أن سقسين بلدة من بلاد الخزر عظيمة أهلة ، ذات أنهار وأشجار وخيرات كثيرة ، نكروا أن أهلها أربعون قبيلة من الغز : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٩٩ .

- (٧٦) ابن البيبي ص ٣١٣ - ٣١٤ ؛ مختصر سلجوقنامه ، ص ١٥٨ ؛
Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.
- (٧٧) ابن البيبي ، ص ٣١٩ - ٣١٤ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٥٩ - ١٦١ .
(78) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.
- (٧٩) ابن البيبي ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٦٢ ؛ منجم باشى ، ورقة
٥٧٩ ب ؛
Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.
- (٨٠) ابن البيبي ، ص ٣٢٠ - ٣٢٣ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٦٢ - ١٦٤ .
- (٨١) ابن البيبي ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٦٥ ؛ منجم باشى العولوى ،
ورقة ٥٧٩ ب .
- (٨٢) ابن البيبي ، ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٦٥ - ١٦٦ ؛ منجم
باشى ، ورقة ٥٧٩ ب .
- (٨٣) ابن البيبي ، ص ٣٢٦ - ٣٢٨ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٦٦ - ١٦٧ .
- (٨٤) ابن البيبي ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٦٧ .
- (٨٥) ابن البيبي ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٦٧ - ١٦٨ .
- (٨٦) ابن البيبي ، ص ٣٣٠ - ٣٣٣ ؛ مختصر سلجوقنامه ص ١٦٧ - ١٦٨ ، منجم
باشى ، ورقة ٥٧٩ ب .
Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 359.
- (87) Repertoire, vol. 10, 4130.
- (88) Cahen : Le Commerce Anatolien, p. 95; Turan : Selcuklular
Zamaninda Turkiye, p. 358.
- (٨٩) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢١٤ - ٢١٥ .
- (90) Cahen : Le Commerce Anatolien, p. 96.
- (91) Ibid, p. 95.



خريطة تبين النفوذ السلبي حتى في حوض البحر الأسود في ايامنا الزمن ١٩١٣

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر والمراجع العربية والمعرّبة :

- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) : الكامل في التاريخ ، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م عن طبعة ليدن ١٨٥١ - ١٨٧٦م .
- ابن البيبي (الحسين بن محمد بن علي المنشي الجعفرى ، ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) : كتاب الأوامر العلانية فى الأمور العلانية ، أنقرة ١٩٥٦م .
- حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٧٨م .
- الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز ، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الطبعة الثانية والستون ، تحقيق بشار عواد معروف ، شعيب الأرنؤوط ، صالح مهدي عباس ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى المغربى ، ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) : كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠م .
- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماه ، ت ٧٣٢هـ) :
 - ١ - المختصر فى أخبار البشر ، بيروت ، بدون تاريخ .
 - ٢ - تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠م .
- القلقشندى (أبو العباس بن على ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءاً ، القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢م .
- مختصر سلجوقنامه ، من مؤلفات القرن السابع الهجرى ، لمؤلف مجهول ، ترجم له من الفارسية وقدم له وحرر حواشيه محمد السيد جمال الدين ، الدوحة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

- منجم باشى المولوى (أحمد بن لطف الله المولوى الشهير باسم منجم باشى ، كان حيا سنة ١١١٦ هـ) : صحائف الأخبار فى وقائع الأعصار ، مخطوط ، مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ١/١٢٥٤ .

- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ج٣ تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

- ابن الوردى (زين الدين عمر بن المظفر بن أبى الفوارس ، ت ٧٤٩ هـ) :
تتمة المختصر فى أخبار البشر (تاريخ ابن الوردى) ، تحقيق أحمد رفعت البدرأوى ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .

ثانياً : المصادر والمراجع الأجنبية :

- Acropolita, George : Opera. Ed. Heisenberg, Leipzig, 1903.
- Ali, Sevim, Yasar, Yacel : TurKiye Tarihi, Fetih, Selcuklu ve Beylikler Donemi Turk Tarih Kurumu Yayinlari Ankara, 1989. pp. 130 - 165.
- Angold : A Byzantine Government in Exile, 1204 - 1261, Oxford, 1975.
- Anna Comnena : The Alexiad of Anna Comnena, translated by E. R. A. Sewter, London, 1969.
- Cahen, Claud : 1. Pre Ottoman Turkey, translated from Franch by J. Jonis William, London, 1968.
2. Le Commerce à L'epoque Au Debut du XIII Siecle Au Turcobyzantina et Oriens Christianus, London, 1974 .
3. La Syrie du Nord à L'Epoque des Croisades, Paris, 1940.
- Combe (Et.), Sauvaget (J.), Wiet (G.) : Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, 15 Vols, Le Caire, 1931.
- The Cambridge Medieval history, vol IV, Byzantine Empire, Part I, Byzantium and its Neighbours, Cambridge University Press, 1979.
- Casanova. P : La Numismatique des Danichmendites, Revue.

- Numismaitque 1894 - 1896, Tirage apart, Paris, 1896.
- **Chalandon, Ferdinand** : Les Commene II Jean II Comnene (1118 - 1143) et Manuel I Comnene (1143 - 1180) Paris, 1900 - 1912.
 - Cinnamus, John** : Epitome Historiarum, C. S. H. B. Bonn, 1836.
 - **Finy, G** : History of the Byzantine and Greek empires, London, 1952.
 - **Irene, Melkoff** : La Gesta de Melik Danismend, Tom I. Paris, 1960.
 - **Michel Le Syrien** : Extrait de La Chroniques, Trduite en Francais Par Chobot, Vols 4, Paris, 1905.
 - **Nicetas, Choniates** : Acominetus Historia, C. C. H. B. Bonn, 1835.
 - **Ostrogorsky, George** : History of The Byzantine State, translated by Joan Hussey, Oxford, 1968.
 - **Savvides, G. C. Alexis** : Byzantium in the Near East : its Relations with the Seljuk Sultanate of Rum in Asia Minor, the Armenians of Cilicia and the Mongols, A. D. C. 1192 - 1237 Kentpon Byantinon Epeynon OEEEEAAONIKH 1981.
 - **Sayr. I. M.** :The Empire of the Salguqids of Asia Minor, Journal of the Near Eastern Studies, Vols, 10-11 (1951 - 1952) PP. 268 - 280.
 - **Turan, Osman** :1- Anatolia in the Period of Seljuks and Beyliks in Cambridge History of Islam, Vol. IA, Cambridge, 1980.
2. Selcuklular Zamaninda Turkiye, Istanbul, 1996.
 3. Turkiye Selcuklular resme Veskalar, Ankara, 1958.
- **Vasiliev, A. A.** :History of the Byzantine Empire, 324 - 1453, 2 Vols, Madison, 1976, 1978.
 - **Villehardouin, Geoffery** :La Conqeste de Constantinople Par Les Barons Francais Associezque Venitians L'an 1204, translated by Sir Marzials, London, 1965.
 - **Vryonis, Jr, Speros** : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and process of Islamization From the Eleventh through the fifteenth Century. London, 1971.
 - **Ulkutasir, Sinop'ta Selcukilere aid tarihi eserler, Tarih ve Arkeologye dergisi, v, pp. 120 - 131, 142.**
 - **Witteck, P.:** The Rise of the Ottoman Empire, London, 1938.

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS



THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN
HISTORY & CIVILIZATION

A BIENNIAL PUBLICATION OF
THE DEPARTMENT OF HISTORY

Editor - in - Chief

Prof. Hamid Zayyan

Administrative Manager

Prof. Mahmoud Arafa Mahmoud

Advisory Board

Prof. Hassanein Rabie

Prof. Raouf Abbas

Prof. S.A. EL Nassery

Prof. Attia EL - Kousy

Prof. Lila Esmaeel

Prof. Abdullatif A. Ali

Prof. Saied Ashour

Prof. Hassan Mahmoud

Prof. Gamal EL - Messady

Prof. Essam El-Fiky

Volume 19 (January 1998)